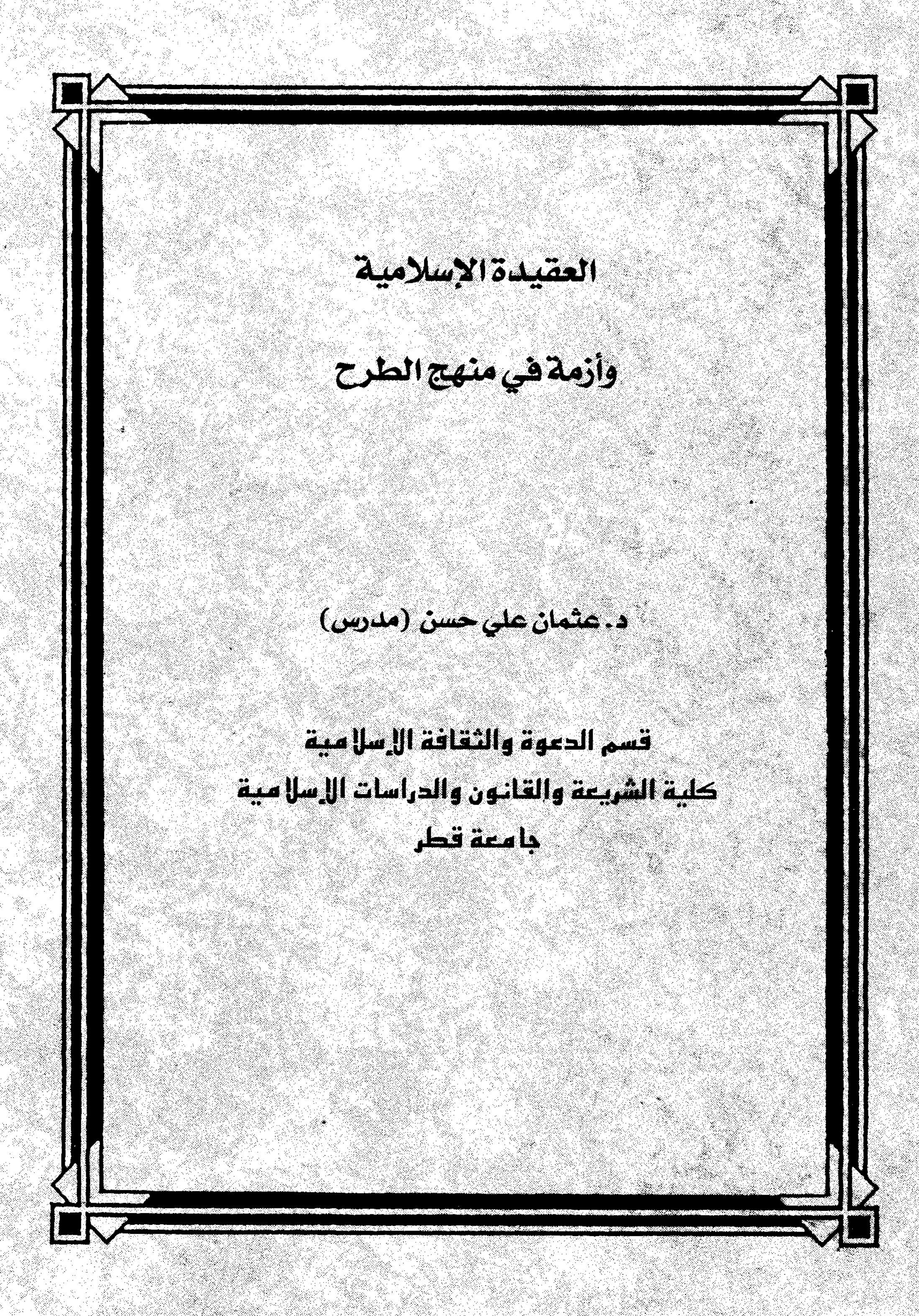


العقيدة الإسلامية
وأزمة في منهج الطرح

د. عثمان علي حسن (مدرس)

قسم الدعوة والثقافة الإسلامية
كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية
جامعة قطر

مقدمة

لقد عانت مسألة العقيدة -ولا تزال- من الأساليب الغربية في الطرح، ومن ذلك الأسلوب الفلسفي والكلامي، والصوفي الإشاري حتى أضحت مادة التوحيد والعقيدة التي تدرس في معاهدنا وجامعاتنا ألغازاً وأغلوطات لا يقوى على فكها وحلها إلا خواص المشتغلين بعلوم الفلسفة والمنطق والكلام ودقائق التصوف، بل باتت هذه المادة -مادة العقيدة والتوحيد- تمثل عقبة كؤوداً يخافها الطلاب خوفهم من مادة الرياضيات والفيزياء وأشد ، ويعملون لها ألف حساب، فهي مادة رسوب لا نجاح ، فالعقيدة في حس الكثيرين من طلابنا تعني التعقيد.

وأيضاً -لم تعد مادة التوحيد والعقيدة تبعث على الاطمئنان القلبي، والاستقرار الفكري، والارتياح النفسي ، بل على الشك والتردد الأمر الذي عانى منه بعض المتكلمين قديماً، وسجلوا اعترافاتهم بذلك، فمادة العقيدة عبارة عن جدل ونقاش لا يكاد ينتهي، وافتراضاتٍ لا يكاد يتصورها عقل، ثم أجوبة واعتراضات، وأجوبة تلك الاعتراضات ، واعتراضات تلك الأجوبة، وأجوبتها إلى ما لا نهاية.

وأقل ما في هذا الأسلوب -إن سلم من الانحراف العقدي- اتصافه بالعبارة الجافة، والطريقة الوعرة، مع ضعف البرهان ، وكثرة الهذيان ، وإتعاب الأذهان، وتضييع الأزمان، ومخاطبة العقل دون العاطفة، وإمتاع الفكر دون الوجدان، وهذا مخالف للأسلوب القرآني الذي تربى عليه الجيل الأول، فأصلحوا العباد وفتحوا البلاد.

قد يكون الأسلوب الكلامي أو الفلسفي هو الأنسب في حقبة قديمة مرت على المسلمين حين واجهوا أقواماً من الملاحدة وأصحاب الديانات المحرفة

والمنحرفة والفلسفات القديمة هذه هي لغة الحوار عندهم فاضُطر المسلمون أو بعضهم إلى منازلتهم، واستخدام سلاح خصومهم ، وخاطبوهم باللغة نفسها إذ كان ذلك أفتكَ فيهم، وأنفعَ لعلاج أمراضهم، وقد يكون الأسلوب الكلامي أو الفلسفي مناسباً لمعالجة بعض المواقف عند بعض الناس من المشتغلين بهذه العلوم، أما أن يكون ذلك أسلوباً عاماً لعرض قضية الإيمان لا يُعرف غيره، أو أنه الأصلُ وغيرُه الفرع أو الاستثناء، فهذا لا يحسن بحال، ولا يبرر لأجيالنا المعاصرة أن تستصحب الأسلوب ذاته، وتستخدم اللغة نفسها، فهي إلي جانب عقمها وصعوبة فهما وهضمها تحمل في طياتها مغالطات كثيرة، أظهرها تقدمُ العلوم وتنوعُها، ثم ما ذنب المسلم المعاصر أن تؤسس عقيدته بهذه الأساليب القديمة التي كانت خطاباً للخصوم ومعالجة لشبهاتهم، أو كانت تمثل أوضاعاً استثنائية.

وهذه الأساليب الفلسفية والكلامية قد تقرر - وهذا غالباً- الشبهات في نفوس الدارسين والمستمعين، ثم لا يستطيعون حلها والانفكاك عنها بيسر، لعدم وضوح الجواب وضوح الشبهة، وهذا أمر مجرَّب نجده في كتب أهل الكلام وغيرها، نرى الشبهة تقرر أحسن تقرير ، بل ربما يعجز أصحابها عن مثله ، ثم يكون الجواب ضعيفاً أو غامضاً أو ملغزاً يحتاج إلى مزيد شرح وإيضاح ، قد يضيق فكرُ المخاطَب أو وقتُه عن استيعاب الجواب.

وفي المقابل نجد أن بعض المؤسسات التي تتبنى المنهج السلفي في معالجة قضايا العقيدة تكاد تغفل تماماً العصر الذي تعيشه: لغةً ومنهاجاً واهتمامات وتحديات، فكتب العقيدة التي تدرس هي كتبٌ كتبها أعلام كبار من سلف الأمة وأئمتها لكن جلها إن لم يكن كلها صنفت للرد على المخالفين في بعض أبواب الاعتقاد، مستخدمة لغة ذلك العصر وأساليبَه في الحوار، بل - وفي أحيان كثيرة- تستخدم لغة الخصوم ومصطلحاتهم. وربما تكون القضايا التي أجابو عنها، وناقشوها في ذلك الوقت ليست محل اهتمام أجيالنا المعاصرة، أو ليست محل خلاف بينهم، أو على أقل تقدير لا تقع على قائمة أولوياتهم،

فيكون اجترارها مرة أخرى من دواعي بعثها وتحريك الصدور بها، وفتح جبهات معارك كلامية قد كفينا شرَّها بغيرنا. ويكفينا ما نحن فيه من التحديات المعاصرة، التي تمثلها الفلسفة المادية الإلحادية، والمذاهب العلمانية، إلى جانب الأعداء التقليديين من اليهود والنصارى، الذين يظهرون اليوم في صور جديدة من صهيونية وماسونية واستشراق وتغريب ونحوها، ثم غير هؤلاء من أصحاب الديانات الوضعية، والاتجاهات المذهبية الغربية الحديثة.

وهذا لا يعني إهمال المخالفات الشرعية التي يقع فيها بعض العوام في بعض البلدان، كمظاهر الشرك والابتداع العقدي والسلوكي، لكن لا ينبغي إخراجها عن خصوصية الزمان والمكان، بل الواجب إعطاؤها ما يناسبها من الجهد والوقت، كل حالة بحسبها زماناً ومكاناً ، وجهداً.

ويسألني كثير من الطلاب عن تحديد كتاب من كتب العقيدة تطمئن إليه النفس، ويكون في الوقت ذاته كتاباً مستوعباً لقضايا الاعتقاد كلها فلا أجد - في حدود علمي- كتاباً معيناً يصلح لأداء هذه المهمة، فأرشح مجموعة من الكتب، كلٌ واحد منها يعالج جانباً أغفلته الكتب الأخرى، سواء من القضايا القديمة أو التحديات المعاصرة.

فنحن بحاجة ملحة إلى تغيير لغة الخطاب العقدي في عصرنا، سواء لأجل مخاطبة المسلمين لتأسيس عقيدتهم، أو مخاطبة غيرهم لدعوتهم، أو رد شبهاتهم وطعونهم التي يثيرونها، والذود عن الإسلام وأهله.

فأرجو لهذا البحث أن يكون مشاركة في إثارة هذه القضية، وتحديد مشكلاتها، ومحاولةً مني في اقتراح بعض الحلول لها.

إشكالية الاصطلاح:

من الأسماء المشهورة الموضوعة لهذا العلم: العقيدة -التوحيد- السنة- علم الكلام- الإلهيات- أصول الدين- الشريعة- الفقه الأكبر- الفلسفة

الإسلامية- الإيمان.

وسنعرض لهذه المصطلحات لبيان مدى مطابقتها لموضوعات العقيدة.

أولاً - العقيدة :

روعي فيه المعنى اللغوي دون الدلالة المستوعبة لقضايا هذا العلم، فالعقيدة تعني الربط والقوة والشدة، فهي تلزم صاحبها ولا تنفك عنه ولا ينفك عنها بسهولة حتى لو تعرض للتنكيل وأنواع الابتلاءات، فالعقيدة لا تواجه إلا بالعقيدة، بعقيدة أخرى مضادة لها، ولعلنا نفهم من ذلك معنى قوله تعالى: ﴿لا إكراه في الدين﴾[1] على أن تغيير عقيدة إنسان بالإكراه أمر غير ممكن ، لأنه يتعلق بالقلب، ولا سبيل إلى تغيير ما في القلب إلا بالحجة المقنعة، والإنسان لابد له من عقيدة يعتقدها، ولا يتصوروجوده خالياً من ذلك، لكن العقيدة لا تزاح إلا بعقيدة أخرى تحِل محلها، ولهذا قال النبي - صلى الله عليه وسلم- أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله[2]. فلم يقل أمرت أن أقاتل الناس حتى يؤمنوا، فهذا أمر غير مضمون الوقوع.

فالعقيدة محلها القلب، فهي تقتصر على الجانب الباطن من مسائل هذا العلم، مع أنه -أي العلم- أوسع من ذلك، لا سيما عند أهل السنة، فهو يشمل الجانب الباطن والظاهر، والظاهرُ يجري على اللسان وبقية الجوارح، وعملُ الجوارح أمر مهم لا ينبغي إغفاله، ولا إهماله، فقد حدث بسبب ذلك شر عظيم لازالت آثاره تلاحق أمة الإسلام.

---

(١) البقرة : الآية ٢٥٦

(٢) صحيح البخاري (١/ ٩٥) كتاب الإيمان :(ح:٢٥).

ثانياً - التوحيد :

اسم -أيضاً- قاصر لأنه يقتصر على العلوم المتعلقة بالذات الإلهية كمسائل الوجود والربوبية والأسماء والصفات ونحو ذلك، ولا يعبر عن باقي القضايا الاعتقادية وما أكثرها كالإيمان بالملائكة والرسل والكتب واليوم الآخر مع ما في ذلك من التفصيل.

وربما جرى في استعمال بعض الأوائل التسميةُ به، كما فعل ابن خزيمة «رحمه الله» في كتابه: «التوحيد وإثبات صفات الرب عزوجل» لكن مقصوده التوحيدُ في باب الأسماء والصفات رداً على المخالفين من الجهمية والمعتزلة ونحوهم، ويتضح هذا من عنوان الكتاب ومحتوياته.

وعليه دل صنيع الإمام البخاري «رحمه الله» في صحيحه حيث عقد باب التوحيد وأورد فيه الأحاديث التي فيها الرد على المخالفين لأهل السنة في باب الأسماء والصفات، ولهذا ذكر في بداية الصحيح كتاب الإيمان، ولم يستغن بكتاب التوحيد عن كتاب الإيمان.

وكلا المصطلحين -العقيدة والتوحيد- يُلقي بظلال لها صدى في البيئة المعاصرة، حيث صارا شعاراً لطائفة معينة، تمارس في دعوتها الناس سلوكاً عليه شيء من المآخذ، حيث يتسم بنوع غلظة وشدة، وتوسع في إطلاق عبارات التكفير والتفسيق والتبديع، مما كان له أبلغُ الأثر في نفور كثيرين، وصدودهم عن قبول الحق.

ثالثاً - السنة :

هذا المصطلح ظهر علمًا على هذا العلم عند ظهور البدع والفرق، لا سيما عند ظهور فتنة القول بخلق القرآن، فالسنة هنا ذكرت في مقابل البدعة، وبها تميزت طائفة أهل السنة والجماعة في مقابل الفرق والطوائف الأخرى المخالفة في أمر الاعتقاد ، واستندت التسمية إلى أحاديث وآثار منها؛ قوله «صلى الله

عليه وسلم» :(... عليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين ، تمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمو ..)[1] وقوله «صلى الله عليه وسلم»:(تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما مَسَكْتُم بهما: كتاب الله وسنة نبيه)[2]

فصار الاعتقاد الصحيح هو السنة وخلافه هو البدعة، ولهذا أثر عن سفيان بن عيينة قوله: «السنة عشرة، فمتى كن فيه فقد استكمل السنة، ومن ترك منها شيئاً فقد ترك السنة» ثم ذكر جملة من العقائد..[3] وقال الشافعي: «القول في السنة التي أنا عليها، ورأيت أصحابنا عليها أهل الحديث الذين رأيتهم، وأخذت عنهم؛ مثل سفيان-يعني ابن عيينة- ومالك وغيرهما، الإقرارُ بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأن الله تعالى على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف شاء، وأن الله تعالى ينزل إلى سماء الدنيا كيف شاء»[4]

وقال الإمام أحمد: «أصول السنة عندنا: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ...» ثم ذكر جملة من عقائد السلف[5].

وصنف العلماء والأئمة في بيان هذه العقائد ومخالفة أهل البدع والأهواء كتباً سموها: كتب السنة، كالسنة للإمام أحمد بن حنبل، والسنة لابنه عبدالله، والسنة للخلال، والسنة لأبي بكر بن أبي عاصم، والسنة لأبي داود ضمن كتابه السنن ، وكتاب الاعتصام بالسنة للبخاري ضمن كتابه الصحيح.

---

(١) سنن أبي داود ٥/١٣- ١٥ ح٤٦٠٧، وسنن الترمذي ٧/٣١٩ -٣٢٠ ح ٢٦٧٨ وقال حسن صحيح.

(٢) موطأ مالك (٢/٨٩٩) تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ٣/٣٩ ح٢٩٣٤

(٣) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة -اللالكائي ١/١٥٥- ١٥٦.

(٤) اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم، ص٥٩ دار المعرفة.

(٥) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة - اللالكائي (١/١٥٦) وما بعدها.

وعليه ، فالسنة مصطلح نشأ في ظرف معين لمعالجة قضايا محدودة من قضايا المعتقد.

رابعاً - علم الكلام :

السمة الغالبة على علم الكلام النزاع والجدال،والتشقيقُ في العبارات والتعمقُ في المسائل ، فلا تكاد تجد مسألة من مسائله إلا وللمتكلمين فيها نزاع وشجار، حتى عُدَّ ذلك في أسباب تسميته. ولهذا جاء في تعريفه أنه: علم يتضمن الحجاج عند العقائد الإيمانية، بالأدلة العقلية، والردَ على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة.[1]

ومن الخطأ إطلاق اسم علم الكلام على قضايا الإيمان.

ولا ينكر ما للمتكلمين من جهود مشكورة في الرد على الملاحدة وأهل الأديان المنحرفة ، وأصحاب البدع الكبار، لكن في طريقتهم ضعفاً وقصوراً، يورث أحياناً شكوكاً وعدم يقين فلا ينحل المرء منها بسهولة، فلا ينبغي أن يعوّل عليها في تأسيس إيمان الشبيبة المسلمة ، فكيف إذا عرفنا تضمنها بعض المغالطات، وسيأتي بعض التفصيل لهذه الجملة.

خامساً - أصول الدين :

اشتهر في الأوساط الكلامية تقسيمُ الدين إلى أصول وفروع، والأصول هي مسائل العقيدة، والفروع هي مسائل الأحكام، وقالوا إن الحق في مسائل الأصول واحد، من خالفه كفر أو فسق ، وأما مسائل الفروع فليس لله تعالى فيها حكم معين، ولا يتصور فيها الخطأ ، بل كل مجتهد فيها مصيب ، وعلى ذلك فالتكفير مقصور على مسائل الأصول دون الفروع، وأن الفروع تثبت بخبر الواحد دون الأصول.

وهذا الأمر مخالف للشرع والعقل ، فالحق واحد ولا يتعدد لكنه قد يتنوع

---

(١) مقدمة ابن خلدون، ص٤٢٣.

كما في التشهدات والأذان ونحو ذلك من مسائل الفروع.

أما المسائل المختلفُ فيها بين أهل العلم فالحق فيها واحد، والمجتهدون منهم المصيب ومنهم المخطئ، لكن المخطئ قد يكون معذوراً وهذا هو الغالب، لا سيما إذا بُذل الجهد واستُفرغ الوسع، وهو الظن بأهل العلم؛ قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر)[1] فعبارة كل مجتهد مصيب معناها أنه أصاب الأجر، فمن أصاب عين الحق، فقد أصاب أجرين، أجر الاجتهاد وأجر الإصابة، ومن أخطأ الحق فقد أصاب أجراً واحداً، هو أجر الاجتهاد.

ثم فرقوا بين الأصول والفروع بفروق غير مطردة، أشهرها:[2]

أ - الأصل مادل عليه دليل قطعي والفرع بخلافه، وهو غير مستقيم لأن كثيراً من العمليات قد جاءت بها أدلة قطعية، كوجوب الصلاة والصيام والزكاة والحج وغير ذلك، كما أن كثيراً من العلميات أدلتها ظنية، ولهذا كثر الاختلاف بين المتكلمين في مسائل الوجود والماهية والذات، وهل الصفة قدر زائد على الذات أم هي عين الذات.

ب - الأصل ما جاز العلم به قبل ورود الشرع والفرعي بخلافه، وهو أيضاً غير مستقيم؛ لأن أكثر مسائل الأصول لم تُعلم إلا بعد ورود الشرع بها، من ذلك رؤية الباري في الآخرة، واستواؤه على عرشه، وأكثر مسائل المعاد، وعذابُ القبر ونعيمُه، وسؤالُ الملكين، وما في الجنة والنار وأحوال أهلهما.

ج - الأصل ما كان دليله العقل، فكل مسألة علمية استقل العقل بدركها فهي من الأصول التي يكفر أو يفسق مخالفها، وأما الفروع فهي ما كان دليله الشرع. والجواب: أن ما ذكروه بالضد أولى، فإن الكفر

---

(١) صحيح البخاري (١٣/٣١٨) كتاب الاعتصام ح: ٧٣٥٢.

(٢) انظر: مختصر الصواعق لابن القيم ٢/٤١٣ وما بعدها، ومجموع فتاوى ابن تيمية ١٩/١٣٤، ٢٠٨ وما بعدها.

والفسق أحكام شرعية، وليست مما يستقل العقل بدركه، فالمتكلمون سموا ما وضعوه من الآراء «أصول الدين» وهذا كما قال ابن تيمية «اسم عظيم والمسمى به فيه من فساد الدين ما الله به عليم، فإذا أنكر أهل الحق والسنة ذلك، قال المبطل: قد أنكروا أصول الدين، وهم لم ينكروا ما يستحق أن يُسمى أصول الدين، وإنما أنكروا ما سماه هذا أصول الدين»[1].

أما التقسيم الصحيح لمسائل الدين ، فهو تقسيمها إلى خبر وطلب، أو علم وعمل، فهذا هو الذي ينضبط، وكلا القسمين تدخل فيه الفروع والأصول، وما يكون دليله القطع أو الظن، وما يكفر جاحده أو لا يكفر، وكلاهما يستدل فيه بالشرع وبالعقل، ليس العقل ولا الشرع خاصاً بأحد القسمين دون الآخر.

وفي بعض الأوساط الأكاديمية تسمى بعض الكليات الشرعية- أو بعض الأقسام الشرعية في كليات الشريعة -بأصول الدين، وقد يكون المراد بهذا بيانَ مصادر الشريعة من الكتاب والسنة وعلومهما، وقد يراد به علوم العقيدة وما يتعلق بها.

سادساً - الشريعة :

الشريعة هي الطريقة في الدين ، ومن ذلك تسمية الإمام الآجري ما كتبه في بعض العقائد: الشريعة، مع أنه ركز على ما دخل على المسلمين من البدع في أبواب الإرجاء والقدر وغيرهما، دون استيعاب لما يتعلق بهذا العلم.

سابعاً - الفقه الأكبر :

سمي به هذا العلم في مقابل الفقه الأصغر، واشتهر به الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان «رحمه الله»، حيث ألَّف رسالة صغيرة تحمل هذا العنوان.

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٥٦)

والفقه هو دقة الفهم القائم على النظر والتأمل والاستيعاب وهو استعمال القرآن، ثم استقر الاصطلاح على تسمية علم الفروع والأحكام بذلك.

ثامناً - الفلسفة الإسلامية :

الفلسفة نمط في التفكير مأخوذ من اليونان، فرغت من محتواها الوثني واستخدمت طريقة لعرض العقائد الإسلامية، فسميت بالفلسفة الإسلامية، ومن أعمال الفلسفة البحث فما وراء الطبيعة، وهو مجال علم العقائد، الذي يبحث في الغيبيات فأشبه من هذا الجانب الفلسفة ، ثم ميز عن الفلسفة اليونانية بنسبته إلى الإسلام. فهل اكتفى المسلمون باستخدام المصطلح، أم استصحبوا بعض لوازمه، كما ظهر عند الفارابي وابن سبعين وابن عربي وغيرهم ممن ينسبون إلى الفلاسفة الإسلاميين؟!

والذي أختاره اسما لهذا العلم ، هو الإيمان ، وذلك للمبرات التالية:

١ - أنه مصطلح قرآني سني، دلت عليه الكثير من النصوص الشرعية، وسمي به المتسبون إلى هذا الدين، ومن ذلك -أيضاً- سورة المؤمنون.

٢ - أنه قدر مشترك بين جميع الطوائف، لا تكاد تجد طائفة تعترض عليه، لكنهم قد يختلفون في تفسره، وهذا أمر موجود حتى في الألقاب الأخرى.

٣ - وعليه، فهو لا يثير أية حساسية لدى أية طائفة من الطوائف.

٤ - هذا المصطلح يساعد على تجنب كثير من المباحث الفلسفية والمنحى الجدلي العقيم في تاريخ الفكر الإسلامي والإنساني، والذي لم يزدد به المسلمون إلا تفرقاً وتمزقاً.

٥ - هذا المصطلح يشتمل على المعاني المطلوبة كلها، كما ورد تفسير ذلك في نصوص الكتاب والسنة ، كما في آية البقرة: ﴿آمن الرسول بما

أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾[1] .

وحديث جبريل عليه السلام: (الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره)[2]

٦ - هذا المصطلح يشتمل على أعمال القلوب والجوارح، وذلك مأخوذ من النصوص الشرعية، فالإيمان وإن كان يعني في اللغة التصديق إلا أن المعنى الاصطلاحي قد أضاف له بُعداً جديداً وهو الجانب العملي السلوكي، ففي القرآن الكريم وردت تسمية الصلاة إيماناً كما في قوله تعالى: ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾[3] وفي حديث وفد عبدالقيس قال صلى الله عليه وسلم: (آمركم بالإيمان بالله وحده، قال: أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وأن تعطوا الخمس من المغنم)[4]

وهذا المعنى مايز بين أهل السنة وفرق المرجئة التي عطلت هذا الجانب وأخرجته عن مسمّى الإيمان مما كان له الأثرُ السيءُ على المسلمين وواقعهم السياسي والاجتماعي والأخلاقي، حيث ضعف الالتزام بالدين في عامة شعب الحياة، وبرزت فيهم تبريرات الفكر الإرجائي والجبري.

وأيضاً فالإيمان فيه معنى الانقياد والمتابعة، بل ذلك معنى بارز فيه كما في

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٨٥
(٢) صحيح مسلم (١/٣٧) كتاب الإيمان ح:١
(٣) البقرة: الآية ١٤٣
(٤) صحيح البخاري (١/١٥٧) كتاب الإيمان ح:٥٣

قوله تعالى ﴿فآمن له لوط﴾[1] وقوله: ﴿وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين﴾[2]

فالإيمان لا يقابل بالتكذيب، بل بالكفر، والكفر لا يقتصر على التكذيب، فلو أن أحدهم قال للرسول -صلى الله عليه وسلم-: «أنا أعلم أنك صادق، ولكن لا أتبعك بل أعاديك، وأبغضك وأخالفك لكان كفراً أعظم، فعلم أن الإيمان ليس مجردَ التصديق، ولا الكفرُ مجردَ التكذيب، بل الكفر يكون تكذيباً، ويكون أيضاً مخالفة ومعاداة ولو لم يكن صاحبه مكذباً، فكذلك الإيمان يكون تصديقاً وموافقة وموالاة وانقياداً، ولا يكفي مجرد التصديق، ولو سُلِّم الترادف بين الإيمان والتصديق، فالتصديق يكون بالأفعال أيضاً، كما في حديث: (إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة، فزنا العين النظر، وزنا اللسان المنطق، والنفس تتمنى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك كله أو يكذبه)»[3] وقال الحسن البصري -رحمه الله- ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي وإنما الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل.[4]

فالمقصود أننا نريد التأكيد على قضية الأعمال ودخولها في مسمًّى الإيمان والعقيدة، وأن العقيدة ليست مجردَ مسألة نظرية أو قلبية فكرية لا صلة لها بالواقع وحياة الناس، بل هي تشمل النشاط الإنساني كلَّه.

ويحمد للشيخ عبدالمجيد الزنداني -حفظه الله- إطلاقُ اسم الإيمان على الأعمال العلمية والأكاديمية التي يُشرف عليها، مثل جامعة الإيمان -مركز أبحاث الإيمان- أرزاق الإيمان ونحو ذلك، ولعله كان ينظر إلى هذه الجوانب التي أشرت إليها آنفاً.



---

(١) سورة العنكبوت: الآية ٢٦

(٢) سورة يوسف: الآية ١٧

(٣) صحيح البخاري (٢٨/١١) كتاب الاستئذان ح:٦٢٤٣

(٤) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٣٨، ٣٣٩

الأساليب المطروحة لمعالجة مسائل العقيدة

(الكلامي - الفلسفي - الصوفي - السلفي)

أولاً : الأسلوب الكلامي

خصائص الأسلوب الكلامي في معالجة مسائل العقيدة:

١ - وعورة لغة المتكلمين :

وذلك ظاهر جداً في كتبهم ومؤلفاتهم، ومصطلحاتهم كالأينية والبينية والجوهر والعرض ، والطفرة ونحو ذلك، وقد قيل ثلاثة لا تعقل: طفرة النظام، وكسب الأشعري، وأحوال أبي هاشم.

وقد يكون لهم العذر -كما تقدمت الإشارة إليه- إذ كانوا يخاطبون ويجادلون قوماً هذه لغتهم، وهذا أسلوب خطابهم، ولعلهم لا يفهمون المراد بغير ذلك، أما أن يكون أسلوب المتكلمين هو الخطاب العقدي المعاصر، والذي تؤسس به عقيدةُ المسلمين، أو تدفع به الشبهاتُ المثارة، فهذا مما يصعب هضمه على أجيالنا المعاصرة.

وهو الأمر الذي جعل العقائد ومادة العقيدة من أصعب المواد والمقررات في جامعاتنا ومعاهدنا.

وأيضاً -فإن كتب الكلام صنفت للرد على المخالفين من شتى الطوائف، لم تصنف لتأسيس وتقرير العقيدة ابتداء، وهذا مما يزيد في صعوبة فهمها وفهم لغتها.

٢ - عدم التعرض للعمليات أو الحث عليها :

فالكلام لا يحمل على العمل، فأكثره ثرثرة وسفسطة، ولهذا قال الإمام

مـالك -رحمـه الله-: «الكلام في الدين أكرهه، ولـم يزل أهل بلدنا يكرهونه وينهـون عنه، نحـو الكلام في رأي جـهم والقـدر، وكل ما أشبـه ذلك، ولا أحب الكلام إلا فيـما تحتـه عمل، فأما الكلام فـي دين الله وفي الله عز وجل فـالسكوت أحب إليّ ؛ لأني رأيت أهل بلـدنا ينهـون عن الكلام في الدين إلا فيما تحته عمل»[1].

قال أبو عمر بن عبدالبر -رحمه الله: «. . .والذي قاله مالك -رحمه الله- عليه جماعة الفقهاء والعلماء قديماً وحديثاً من أهل الحديث والفتوى. . .»[2]

وقال ابن قتـيبة -رحمـه الله- :«وكان المتناظرون فيمـا مضى يتناظرون في مـعادلة الصبـر بالشكر، وفي تفـضيل أحـدهمـا على الآخر، وفي الوسـاوس والخطرات ومجـاهدة النفس، وقمع الهوى، فقـد صار المتناظرون يتناظرون في الاستطاعـة والتولد والطفرة والجزء والعـرض والجوهر[3] فهم دائبـون يخبطون في العشوات ، قد تشعبت بهم الطرق، وقادهم الهوى بزمام الردى»[4]

٣ - عدم تعرضهم للكلام في توحيد العبادة :

مع أنه التـوحيد الذي جـاءت به الرسل ونزلت به الكتب، ولسـببـه قامت سوق الجهاد، وانـقسم الناس فيه إلى مؤمن وكافـر، وفريقٍ في الجنة وفريقٍ في السعيـر، لكنهم استفرغوا وسـعهم وبذلوا جهدهم ، وقتلـوا أوقاتهم في تقرير مسائل الوجـود ومعرفة الخـالق مع أن هذا أمر مستقـر في الفطر وواضح ببداثة العقول لدى أكثر الخلق، فقـد قال الله عن المشركين:﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقـولن الله﴾[5]﴿ولئن سـألتهم مـن خلق السمـوات والأرض ليـقولن خلقـهن

(١) جامع بيان العلم (٢/١١٦)
(٢) المرجع السابق (٢/١١٦)
(٣) هذه الألفاظ درجت على ألسنة المتكلمين ، وحفلت بها مصنفاتهم.
(٤) اختلاف اللفظ ص: ٩
(٥) سورة الزخرف : الآية ٨٧

العزيز العليم﴾[1] إلا من فسدت فطرته، وتعطلت مداركه ، فمثل هذا قد يحتاج إلى علاج مادي أو معنوي قبل أن يُكلم أو يجادل! والقرآن حينما تعرض لهذه الأمور فمن باب الإلزام، فكأنه يقول يا من تُقر بوجود الله وأنه الخالق، فلا أحد يستحق العبادة غيره، إذ هو الخالق لا خالق سواه، فلماذا تشرك معه آلهة أخرى، قال تعالى: ﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون﴾[2]

٤- عدم الجزم واليقين فيما يعتقدونه ويقولونه :

قال أبوحامد الغزالي -رحمه الله- بعد أن ساق أقوال العلماء والأئمة في ذم الكلام واعتراض المعترضين وأدلتهم ، قال: «ونقول: إن فيه منفعة وفيه مضرة ، فهو باعتبار منفعته في وقت الانتفاع حلال أو مندوب إليه أو واجب كما يقتضيه الحال، وهو باعتبار مضرته في وقت الاستضرار ومحله حرام. أما مضرته: فإثارة الشبهات، وتحريك العقائد ، وإزالتها عن الجزم والتصميم، فذلك مما يحصل في الابتداء ، ورجوعها بالدليل مشكوك فيه، ويختلف فيه الأشخاص ، فهذا ضرره في اعتقاد الحق . . .

وأما منفعته فقد يظن أن فائدته كشف الحقائق ومعرفتها على ماهي عليه، وهيهات، فليس في الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف، ولعل التخبيط والتضليل فيه أكثر من الكشف والتعريف،وهذا إذا سمعته من محدث أو حشوي ربما خطر ببالك أن الناس أعداءُ ما جهلوا، فاسمع هذا ممن خَبَرَ الكلام ثم قلاه بعد حقيقة الخبرة، وبعد التغلغل فيه إلى منتهى درجة المتكلمين، وجاوز ذلك إلى التعمق في علوم أخر تناسب نوع الكلام، وتحقق أن الطريق إلى حقائق المعرفة من هذا الوجه مسدود. ولعمري، لا ينفك

(١) سورة الزخرف: الآية ٩

(٢) سورة يونس : الآية ٣١

الكلام عن كشف وتعريف وإيضاح لبعض الأمور ، ولكن على الندور..»[1]

ويقول ابن تيمية -رحمه الله- : «إنك تجد أهل الكلام أكثر الناس انتقالاً من قول إلى قول، وجزماً بالقول في موضع ، وجزماً بنقيضه، وتكفير قائله في موضع آخر، وهذا دليل عدم اليقين . . . ولهذا قال بعض السلف -عمر ابن عبد العزيز أو غيره-: من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التنقل»[2].

ولهذا قال الإمام مالك -رحمه الله- : أو كلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما جاء به جبريل إلى محمد -صلى الله عليه وسلم- لجدل هؤلاء[3].

٥ - كثرة الاختلاف والتنازع :

من السمات البارزة لأهل الكلام: الاختلاف والتنازع ؛ حتى بين أهل الطائفة الواحدة والمذهب الواحد، ولا تكاد تجد اثنين منهم على وفاق تام في غالب مسائلهم، وهذا ليس في فروع الدين، وإنما في أصوله وفي المسائل التي يسمونها قطعيات ويقينيات، فهذا أبوهاشم خالف أباه في تسع وعشرين مسألة، وكان أبوه يخالف أبا الهذيل في تسع عشرة مسألة. وبين معتزلة بغداد ومعتزلة البصرة اختلاف كثير وفاحش، يُكفِّر بعضهم بعضاً، وذُكر أن الاختلاف بينهم في أكثر من ألف مسألة.[4] قال مطرّف بن الشخّير(٩٥هـ) رحمه الله: «لو كانت هذه الأهواء كلها هوى واحداً لقلنا: الحق فيه، فلما تشعَّبت واختلفت، عرف كل ذي عقل أن الحق لا يتفرق»[5]

---

(١) إحياء علوم الدين (١/ ٩٧).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (٤/ ٥٠).

(٣) انظر: الحجة للأصبهاني (٢/ ٤٥٥، برقم ٤٧٦) ، وشرح السنة (١/ ١٤٤، برقم ٢٩٣، ٢٩٤).

(٤) انظر: التنبيه والرد- الملطي، ص٤٠

(٥) شرح السنة -اللالكائي (١/ ١٤٩ برقم ٣١٢)

وقول ابن قتيبة -رحمه الله-: «وقد كان يجب -مع ما يدعـونه من معرفة القيـاس، وإعداد آلات النظر- أن لا يختلفوا كـما لا يختلف الحُسَّاب والمُسَّاح والمهندسون؛ لأن آلاتِهم لا تدل إلا على عـدد واحد، وإلا على شكل واحد، وكما لا يختلف حـذاق الأطباء في الماء، وفي نبض العـروق؛ لأن الأوائل قد وقفوهم من ذلك على أمر واحد، فما بالهم أكثر الناس اختلافاً لا يجتمع اثنان من رؤسـائهم على أمـر واحد في الدين . . . ولـو كان اخـتلافـهم في الفـروع والسنن لاتسع لهم العذر عندنا، وإن كان لا عذر لهم مع ما يدعونه لأنفسهم، كما اتسع لأهل الفـقه ووقعت لهم الأسوة بهم ، ولكن اختلافـهم في التوحيد وفي صفات الله تعالى، وفي قـدرته، وفي نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار، وعذاب البرزخ، وفـي اللوح وفي غير ذلك من الأمور التي لا يعلمـها نبي إلا بوحي من الله تعالى. . .

ولو أردنا -رحـمك الله- أن ننتقل عن أصـحاب الحـديث، ونرغب عنهم إلى أصحـاب الكلام ونرغب فيهم لخـرجنا من اجتمـاع إلى تشتت، وعن نظام إلى تفرق، وعن أنس إلى وحشة، وعن اتفاق إلى اختلاف . . .»[1]

٦- المعارضة بين النص ودليل العقل :

وهو قولهم: إذا تعارض السمع والعقل فإمـا أن يجمع بينهما وهو محال؛ لأنه جمع بين النقيضين، وإما أن يرادا جميـعاً وهو محال لأنه رفع للنقيضين، وإما أن يقدم السـمع على العقل وهو أيضاً محـال لأن العقل أصل النقل، فلو قدمناه عليه كان ذلك قـدحاً في العقل الذي هو أصل النقل، والقدح في أصل الشيء قدح فـيه، فكان تقـديم النقل قدحـاً في النقل والعقل جمـيعـاً، فوجب تقديم العقل ، ثم النقل إما أن يتأول وإما أن يفوض[2].

---

(١) تاويل مختلف الحديث ص١٤-١٦

(٢) انظر: كتب الرازي التالية:أساس التقديس، ص٢١٠-٢١١، ومحصل أفكار المتقدمين، ص٥١، وأصول الدين ،ص٢٤، والمطالب العالية (٩/١١٣)

وهؤلاء المعارضون بين النص والعقل تجد بينهم من الاختلاف والتنازع في هذه المعقولات ما لا يقدر أحد على جمعه، بل لا تكاد تتصورُ اتفاق اثنين منهم في أمر من الأمور العقلية، حتى في الأمور التي يدعي فيها كل واحد منهم القطع والضرورة، حتى قال الشهرستاني -رحمه الله-[1]

لقد طفت في تلك المعاهد كلها   وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعاً كف حائر   على ذقن أو قارعاً سن نادم

وقال ابن رشد -رحمه الله-: ومن الذي قال في الإلهيات شيئاً يعتد به[2]، وقال آخر: أضطجع على فراشي وأضع الملحفة على وجهي، وأقابل بين أدلة هؤلاء وأدلة هؤلاء حتى يطلع الفجر، ولم يترجح عندي منها شيء[3].

والمسألة إذا اختلف فيها العقلاء خرجت من مقام القطيعة إلي مقام الظنية، فتكون غالب مسائل الاعتقاد هي أموراً ظنية، وهذا خلاف ما يُدعى لها.

وإلا فالعقل الصريح لا يعارض الشرع الصحيح، وإذا وقع شيء من ذلك إما أنه تعارض في الأذهان لا في الواقع، أو أن أحد الدليلين ظني، أو كلاهما كذلك، أما أن يكون كلا الدليلين قطعياً ثم يتعارضان فهذا لا يكون بحال، ثم إن التقديم هو حق القطعي سواء كان سمعياً أو عقلياً، وليس خاصاً بالعقلي.

٧- الأدلة الشرعية لا تفيد القطع بل الظن :

يقول الإيجي -رحمه الله- في المواقف[4]: «الدلائل النقلية هل تفيد اليقين؟ قيل لا، لتوقفه على العلم بالوضع والإرادة، والأول يثبت بنقل اللغة النحو والصرف، وأصولها تثبت برواية الآحاد، وفروعها بالأقيسة، وكلاهما

(١) نهاية الإقدام، ص٣.
(٢) ذكره عنه شارح الطحاوية، ص٢٠٨.
(٣) شرح الطحاوية ، ص٢٠٩، ودرء التعارض(١/ ١٦٥)
(٤) ص : ٤٠

ظنيان، والثاني يتوقف على عدم النقل والاشتراك والمجاز والإضمار والتخصيص والتقديم والتأخير، والكل لجوازه لا يجزم بانتفائه، بل غايته الظن.

ثم بعد الأمرين لابد من العلم بعدم المعارض العقلي، إذ لو وجد لقدم على النقلي قطعاً..» ونسب شارح المواقف هذا المذهب إلى جمهور المعتزلة والأشاعرة، وذكره الرازي في غالب كتبه الكلامية، لكنه استدرك في كتاب الأربعين[1]، بهذه العبارة: «واعلم أن هذا الكلام على إطلاقه ليس بصحيح لأنه ربما اقترن بالدلايل النقلية أمور عرف وجودها بالأخبار المتواترة، وتلك الأمور تنفي الاحتمالات، وعلى هذا التقدير تكون الدلائل السمعية المقرونة بتلك القرائن الثابتة بالأخبار المتواترة مفيدةً لليقين...».

هذا ما تيسر ذكره من خصائص الأسلوب الكلامي، وهو كما ترى فيه مزالق ، وأقل ما فيه وعورة المسلك، وصعوبة العبارة، فهو تعبير عن ثقافة عصر لا نعيشه، ولا نعاني مشاكله وتحدياته..

وهذا لا يعني هضم ما لأهل الكلام - في الجملة- من جهود مشكورة، ومساع حميدة مبرورة، في الرد على البدع الكبار كبدعة الرفض والتجهم والباطنية، والتصدي لليهود والنصارى والمشركين والفلاسفة الملحدين ونحوهم، ولهذا شكرهم المسلمون ، واستحمدوا مواقفهم التي فيها النصرة لدين الله تعالى. يقول ابن تيمية -رحمه الله- :«وكذلك متكلمة أهل الإثبات مثل الكُلّابيَّة والكراميَّة والأشعريَّة إنما قُبلوا واُتبعوا واُستُحْمِدوا إلى عموم الأمة بما أثبتوه من أصول الإيمان؛ من إثبات الصانع وصفاته وإثبات النبوة، والرد على الكفار من المشركين وأهل الكتاب، وبيان تناقض حججهم، وكذلك استحمدوا بما ردوه على الجهمية والمعتزلة والرافضة والقدرية من أنواع المقالات التي يخالفون فيها أهل السنة والجماعة»[2] ويقول -رحمه الله- في باب

---

(١) ص: ٤٢٦

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية(٤/ ١٢-١٣)، وانظر: الرد على المنطقيين ، ص١٤٢-١٤٣.

المفاضلة بين طوائف المثبتة من الكلابية والأشعرية ونحوهم، وطوائف النفاة من المعتزلة والجهمية ونحوهم: «وإن كان في كلامهم من الأدلة الصحيحة وموافقة السنة ما لا يوجد في كلام عامة الطوائف، فإنهم أقرب طوائف أهل الكلام إلى السنة والجماعة والحديث، وهم يعدون من أهل السنة والجماعة عند النظر إلى مثل المعتزلة والرافضة وغيرهم، بل هم أهل السنة والجماعة في البلاد التي يكون أهل البدع فيها هم المعتزلة والرافضة ونحوهم»[1].

وقد ذهب كثير من مبتدعة المسلمين: من الرافضة والجهمية وغيرهم إلى بلاد الكفار فأسلم على يديه خلق كثير، وانتفعوا بذلك وصاروا مسلمين مبتدعين وهو خير من أن يكونوا كفاراً. . وأكثر المتكلمين يردون باطلاً بباطل، وبدعة ببدعة؛ ولكن قد يردون باطل الكفار من المشركين وأهل الكتاب بباطل المسلمين، فيصير الكافر مسلماً مبتدعاً، وأخص من هؤلاء من يرد البدع الظاهرة كبدعة الرافضة ببدعة أخف منها وهي بدعة أهل السنة»[2].

ونصوص الأئمة والعلماء في ذم الكلام وبيان عواره وبطلانه مشهورة معروفة وهي تستعصي على الحصر، وأبلغ من ذلك ما نقل عن كثير من أئمة الكلام من رجوعهم عن الكلام، وذمهم له، وبيان فساده وعدم جدواه، ثم توبتهم من ذلك وندمهم على ما كان منهم، وعلى ما ضيعوه من الأزمان، وإتعاب الأذهان، ثم ميلهم إلى طريقة أهل السنة واستحسانهم لها ، ونصح تلاميذهم وأتباعهم بذلك، وإليك طائفة من هذه المواقف:

١ - روى ابن الجوزي بسنده إلى أحمد بن سنان أنه قال: «كان الوليد بن أبان الكرابيسي(٢١٤هـ) خالي فلما حضرته الوفاة قال لبنيه: تعلمون أحداً أعلم بالكلام مني؟ قالوا: لا. قال: فتتهمونني؟ قالوا: لا. قال: فإني أوصيكم ، أتقبلون؟ قالوا: نعم. قال: عليكم بما عليه

(١) نقض تأسيس الجهمية(٢/ ٨٧).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٣/ ٩٥-٩٧)

أصحاب الحديث، فإني رأيت الحق معهم».[1]

٢- وكان أبو المعالي الجويني يقول: «لقد جلت أهل الإسلام جولة، وعلومهم، وركبت البحر الأعظم، وغصت في الذي نهوا عنه، كل ذلك في طلب الحق، وهرباً من التقليد، والآن فقد رجعت عن الكل إلى كلمة الحق، عليكم بدين العجائز، فإن لم يدركني الحق بلطيف برّه فاموت على دين العجائز، ويختم عاقبة أمري عند الرحيل بكلمة الإخلاص فالويل لابن الجويني، وكان يقول لأصحابه: ياأصحابنا، لا تشتغلوا بالكلام، فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي ما بلغ ما تشاغلت به»[2].

٣ - وقال الشهرستاني[3]: إنه لم يجد عند الفلاسفة والمتكلمين إلا الحيرة والندم، وأنشد:

لقد طفت في تلك المعاهد كلها   وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعاً كف حائر   على ذقن أو قارعاً سن نادم

وقد أجاب الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني على البيتين بالبيتين التالين:[4]

لعلك أهملت الطواف بمعهد الـ   ـرَّسول ومن والاه من كل عالم
فما حار من يُهدى بهدي محمد   ولستَ تراه قارعاً سن نادم

٤ - وقال أبو الوفاء بن عقيل لبعض أصحابه: «أنا أقطع أن الصحابة ماتوا وما عرفوا الجوهر والعرض ، فإن رضيت أن تكون مثلهم فكن ، وإن رأيت أن طريقة المتكلمين أولى من طريقة أبي بكر وعمر فبئس ما

(١) تلبيس إبليس ص : ١٠٤

(٢) تلبيس إبليس ، ص١٠٤-١٠٥، وانظر: طبقات الشافعية -السبكي(٥/ ١٩١) ، وانظره مختصراً في مختصر العلو ، ص٢٧٥ برقم ٣٣٥

(٣) نهاية الإقدام، ص٣

(٤) ديوان الصنعاني ، ص٣٤٥

رأيت. قال: وقد أفضى الكلام بأهله إلى الشكوك، وكثير منهم إلى الإلحاد، تشم رائحة الإلحاد من فلتات كلام المتكلمين . . وقد بالغت في الأول طول عمري ثم عدت القهقرى إلى مذهب الكتب»[1].

٥ - وقال أبو عبدالله الرازي: «لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تَشفي عليلاً، ولا تُروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن؛ أقرأ في الإثبات: ﴿الرّحمن على العرش استوى﴾(طه: ٥) ﴿إليه يصعد الكلم الطيِّب﴾(فاطر: ١٠) ؛ وأقرأ في النفي: ﴿ليس كمثله شيء﴾(الشورى: ١١) ﴿ولا يحيطون به علماً﴾ (طه: ١١٠) قال: ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي»[2]

وقال الرازي أيضاً:[3]

نهاية إقدام العقول عقال ... وأكثر سعي العالمين ضلال

وأرواحنا في غفلة من جسومنا ... وحاصل دنيانا أذى ووبال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

وكم من جبال قد علت شرفاتها ... رجال فزالوا والجبال جبال

وكم رأينا من رجالٍ ودولة ... فبادوا جميعاً مُزْعَجين وزالوا

٦ - ومن المتأخرين: محمد بن علي الشوكاني -رحمه الله- يخبر عن حاله فيقول: «وها أنا أخبرك عن نفسي، وأوضح لك ما وقعت فيه في أمسي، فإني في أيام الطلب(وعنفوان)[4] الشباب شُغِلتُ بهذا العلم الذي سموه تارة علم الكلام، وتارة علم التوحيد، وتارة علم أصول

---

(١) تلبيس إبليس ، ص١٠٥

(٢) قال ذلك في كتابه أقسام اللذات كما ذكره عنه ابن تيمية. انظر: درء تعارض العقل والنقل(١/ ١٦٠) . وذكر الدكتور محمد رشاد سالم -رحمه الله- أن هذا الكتاب مخطوط بالهند، ولم يذكره بروكلمان ضمن مؤلفات الرازي.

(٣) طبقات الشافعية -السبكي (٨/ ٩٦)، ودرء تعارض العقل والنقل(١/ ١٦٠).

(٤) في الأصل: (عنوان) ، ولعل الصحيح ما أثبته.

الدين وأكببت على مؤلفات الطوائف المختلفة منهم، ورُمْتُ الرجوع بفائدة، والعود بعائدة، فلم أظفر من ذلك بغير الخيبة والحيرة، وكان ذلك من الأسباب التي حببت إليّ مذهب السلف»[1].

ثانياً : الأسلوب الفلسفي في معالجة مسائل العقيدة

الفلسفة اليونانية قاطبة تهدف إلى الحذر من الوقوع في التناقض، والدفاع عن النتيجة الموجبة أو السالبة.[2] ولعلَّ هذه الغاية هي التي تمنع صاحبها عن بلوغ الصواب وعن إصابة الحق؛ لأن الحذر من الوقوع في التناقض والحرص على ذلك قد يؤدي إلى التزام اللوازم الفاسدة، والاسترسال في ذلك، وتغليب حظ النفس على بلوغ الحق والتزام الصواب.

إضافة إلى أن الفلسفة اليونانية نشأت في بيئة وثنية مادية، عُرف أصحابها بالإلحاد؛ فيخشى على من استخدم القواعد الفلسفية أن يستصحب ما علق بها من أدران الإلحاد، وهذا ما ظهر في البيئة الإسلامية بعد ترجمة كتب الفلسفة أيام المأمون أو غيره، فتأثر بذلك المعتزلة وغيرهم من الطوائف التي انحرفت عن الطريقة السوية، بل ما من فرقة من فرق المعتزلة إلا ونظرت في كتب الفلاسفة وتأثرت بها[3]. وقال أبوبكر بن العربي -رحمه الله- : «شيخنا أبوحامد دخل في بطون الفلاسفة ثم أراد أن يخرج منها فما قدر»[4]

فهذا الغزالي وهو من هو ، ومع ذلك كفرهم وشهَّر بهم في كثير من كتبه، فكيف بمن هو دون الغزالي حين يستخدم الفلسفة وسيلة للوصول إلى العقيدة الصحيحة دون أن يتأثر بما عليه الفلاسفة من الاعتقادات الباطلة والمغالطات الظاهرة والخفية.

---

(١) التحف في مذهب السلف، ص١٣-١٤

(٢) انظر: منطق أرسطو-طوبيقا(٢/ ٤٦٩)، وتاريخ الفلسفة اليونانية-كرم ، ص:١٣٠، وتاريخ الفكر الفلسفي-أبوريان(٢/ ٥٧).

(٣) انظر: الخطط للمقريزي (٢/ ٣٥٨)، والملل للشهرستاني (١/ ٣٠)

(٤) موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول(١/ ٢) والسير للذهبي(١٩/ ٣٢٧)

قال أحد بطارقة الروم وهو يهم بإرسال كتب يونان إلى يحيى بن خالد بن برمك (١٩٠هـ) وكان الأخير قد طلبها منه: «فما دخلت هذه العلوم على دولة شرعية إلا أفسدتها وأوقعت بين علمائها»[١]. فقد أرسلوا هذه الكتب إلى المسلمين تخلصاً منها، ورغبة في وقوع الفساد الفكري والعقدي بين المسلمين، وقد كان.

ومن أبرز علوم الفلسفة المنطق اليوناني، وقد قيل إنه: آلة موجودة في العقل بالغريزة، ولهذا سبق استعمالها تدوينها.[٢] ثم جاء أرسطو ليتمم جهود من سبقه من الفلاسفة، لا سيما سقراط وأفلاطون فيما أسماه بالتحليلات، وهي المنطق [٣] فقعّد له وحدّد مصطلحاته، ورتب مسائله وفصوله، فنُسب المنطق إليه نسبة صياغة وإظهار لا ابتداء واختراع[٤].

والمشهور عندهم أنه: آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر، أو أن يزل في تفكيره.[٥]

علاقة المنطق بالشرعيات:

يقول أبوحامد الغزالي -رحمه الله- في كتابه: **المنقذ من الضلال**[٦]: «أما المنطقيات: فلا يتعلق شيء منها بالدين نفياً وإثباتاً، بل هو النظر في طرق الأدلة والمقاييس، وشروط مقدمات البرهان وكيفية تركيبها، وشروط الحد

---

(١) صون المنطق، ص٩.

(٢) انظر: تجديد علم المنطق في شرح الخبيصي -الصعيدي، ص ٣

(٣) أول من أطلق اسم المنطق على هذا الفن هم شراح أرسطو، وليس أرسطو نفسه، انظر: المعجم الفلسفي -صليبا (٢/٤٢٨)

(٤) انظر: الملل والنحل(٢/١١٩-١٢٠) والمعجم الفلسفي -صليبا (٢/٤٢٨)، تجديد علم المنطق - الصعيدي، ص٣٤.

(٥) انظر: تحرير القواعد المنطقية للرازي، ص١٦-١٨ والتعريفات للجرجاني ص١٢١، والرد على المنطقيين لابن تيمية، ص٧.

(٦) انظر: ص ٩١-٩٣

الصحيح وكيفية ترتيبه، وأن العلم إما تصور وسبيل معرفته الحد، وإما تصديق وسبيل معرفتـه البرهان، وليس في هذا ما ينبغي أن ينكر، بل هو من جنس ما ذكره المتكلمون وأهل النظر في الأدلة، وإنما يفارقونه بالعبارات والاصطلاحات وبزيادة الاستقصاء في التعريفات والتشعيبات ؛ ومثال كلامهم فيها قولهم: إذا ثبـت أن كل أ : ب لزم أن بـعض ب : أ ، أي إذا ثبـت أن كل إنســـان حـيوان لزم أن بـعض الحيـوان إنسـان، ويعـبرون عن هذا بـأن الموجبـة الكليـة تنعكس موجبة جزئية، وأي تعلق لهذا بمهمات الدين حتى يجحد وينكر؟! فإذا أنكر لـم يحـصل من إنكاره عند أهل المنطق إلا سوء الاعـتقاد في عـقل المنكر، بل في دينه الذي يزعم أنه موقوف على مثل هذا الإنكار.

نعم، لهم نوع من الـظلم في هذا العلم، وهو أنهـم يجـمـعـون للبـرهان شـروطاً يُعلم أنهـا تورث اليقين لا مـحـالة، لكنهم عند الانتـهـاء إلى المقاصـد الدينية ما أمكنهم الوفاء بتلك الشـروط، بل تساهلوا غاية التساهل، وربما ينظر في المنطق -أيضـاً- من يستحـسنه ويراه واضحـاً: فيظن أن مـا ينقل عنهم من الكفريات مؤيدة بمثل تلك البـراهين، فاستعجل بالكفر قـبل الانتهاء إلى العلوم الإلهية، فهذه آفة -أيضاً- متطرقة إليه»[1]

فواضح من كلامه أنه يرى المنطق آلة قـانونية من تلك التي يتوصل بها إلى إيضـاح بعض القضـايا، وأنه بهذا الاعـتبـار علم صـحيح لا ينكر مطلقـاً، بل إنكاره يؤدي إلى الطـعن في عـقل المنكر ودينه؛ لأنه إنكار لأمـور صـحـيحـة مـسلمـة، لكن أهل المنطق قـد ضلوا فـي باب الإلهـيات حين بـنوها على هذه القواعد المنطقية ؛ ولهذا يقول الغزالي -رحمـه الله-:«وأما الإليهات ففيها أكثر أغاليطهم ، فما قدروا على الوفـاء بالبراهين على ما شرطوه في المنطق، ولهذا كثر الاختلاف بينهم فيها»[2] ويقول أيضاً:«فكلام الأوائل في الرياضيات برهاني وفي الإلهيات تخمـيني» ولهذا صنف الغزالي في تكفير الفلاسـفة كتابه **تهافت**

---

(١) المنقذ من الضلال ، ص٩١-٩٣

(٢) المنقذ من الضلال ، ص٩٤.

الفلاسفة[1] وأشار إلى تكفيرهم في غيره من كتبه **كالمنقذ من الضلال** [2] **وفيصل التفرقة**.[3] ويلزم من كلام الغزالي عدم الإنكار على من أعرض عن المنطق مستغنياً بجودة عقله وصحة تفكيره.

يقول ابن تيمية-رحمه الله[4]-: «أما كتب المنطق فتلك لا تشتمل على علم يؤمر به شرعاً، وإن كان قد أدى اجتهاد بعض الناس إلى أنه فرض على الكفاية، وقال بعض الناس: إن العلوم لا تقوم إلا به، كما ذكر ذلك أبوحامد، فهذا غلط عظيم عقلاً وشرعاً:

أما عقلاً ؛ فإن جميع عقلاء بني آدم من جميع أصناف المتكلمين في العلم حرروا علومهم بدون المنطق اليوناني.

وأما شرعاً ؛ فإنه من المعلوم بالإضطرار من دين الإسلام أن الله لم يوجب تعلم هذا المنطق اليوناني على أهل العلم والإيمان.

وأما هو في نفسه، فبعضه حق وبعضه باطل، والحق الذي فيه كثير منه أو أكثره لا يُحتاج إليه، والقدر الذي يحتاج إليه منه فأكثر الفطر السليمة تستقل به، والبليد لا ينتفع به، والذكي لا يحتاج إليه، ومضرته على من لم يكن خبيراً بعلوم الأنبياء أكثر من نفعه، فإن فيه من القواعد السلبية الفاسدة ما راجت على كثير من الفضلاء، وكانت سبب نفاقهم، وفساد علومهم.

وقول من قال: إنه كله حق كلام باطل، بل في كلامهم في الحد والصفات الذاتية والعرضية وأقسام القياس والبرهان ومواده من الفساد ما قد بيناه في غير هذا الموضع وقد بين ذلك علماء المسلمين، والله أعلم».

(١) وكفرهم في ثلاث مسائل كبار هي قولهم بقدم العالم، وإن الله لا يعلم الجزئيات، وإنكارهم بعث الأجساد . انظر: ص٧٥، ٨٢، ٨٨ وما بعدها، وص ٢٠٦ ومابعدها، وص ٢٨٢ وما بعدها من كتاب التهافت.

(٢) انظر: ص ٨٤ ومابعدها.

(٣) انظر: ص١٩١-١٩٢.

(٤) مجموع الفتاوى ٩/٢٦٩-٢٧٠

لكن قد يقال يجوز النظر فيه -لاسيما غير المختلط منه بضلالات الفلاسفة- لبيان عواره، وإثبات فساده وعديم فائدته، وللرد على أصحابه ممن أشربوا حبه، من باب الرد على الخصم بسلاحه، ولفهم بعض المصطلحات والعبارات المنطقية المبثوثة في بعض كتب العلوم الشرعية. يقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي (١٣٩٣هـ) -رحمه الله- :«ومن المعلوم أن فن المنطق منذ ترجم من اللغة اليونانية إلى اللغة العربية في أيام المأمون كانت جميع المؤلفات توجد فيها عبارات واصطلاحات منطقية لا يفهمها إلا من له إلمام به، ولا يفهم الرد على المنطقيين فيما جاؤا به من الباطل إلا من له إلمام بفن المنطق.

وقد يعين على رد الشبه التي جاء بها المتكلمون في أقيسة منطقية، فزعموا أن العقل يمنع بسببها كثيراً من صفات الله الثابتة في الكتاب والسنة؛ لأن أكبر سبب لإفحام المبطل أن تكون الحجة عليه من جنس ما يحتج به، وأن تكون مركبة من مقدمات على الهيئة التي يعترف الخصم المبطل بصحة إنتاجها.

ولا شك أن المنطق لو لم يترجم إلى العربية ولم يتعلمه المسلمون لكان دينهم وعقيدتهم في غنى عنه، كما استغنى عنه سلفهم الصالح، ولكنه لما تُرجِّم وتُعلِّم وصارت أقيسته هي الطريق الوحيدة لنفي بعض صفات الله الثابتة في الوحيين، كان ينبغي لعلماء المسلمين أن يتعلموه، وينظروا فيه ليردوا حجج المبطلين بجنس ما استدلوا به على نفيهم لبعض الصفات؛ لأن إفحامهم بنفس أدلتهم أدعى لانقطاعهم وإلزامهم الحق»[1].

فواضح جداً من كلام الشنقيطي -رحمه الله- أن تعلم المنطق يكون لأجل رد صيال المعتدين على الشريعة، لا لفهم الشريعة، أو وزن علومها به، كما يُدَّعى له ذلك من قِبَل أهله ودعاته.

---

(١) آداب البحث والمناظرة -الشنقيطي- القسم الأول ، ص٤-٥.

ونخلص من ذلك كله إلى أن المنطق نوعان:

الأول : ما كان مختلطاً بضلالات الفلاسفة، فهذا لاشك في تحريمه، لما يفضي إليه من الكفر والضلال.

الثاني: وهو ما لم يختلط بتلك الضلالات، وهو عبارة عن أقيسة ومصطلحات ونحو ذلك من الأساليب التي تعارفوا عليها، وهذا نوعان: منه ما هو حق ومنه ما هو باطل، وما فيه من الحق يمكن الاستغناء عنه بالفطرة السليمة، والعلوم الصحيحة، وهذا هو الذي يمكن النظر فيه للرد على الخصوم، ودحض مفترياتهم، لا أن توزن به العلوم، أو أن يكون مقدمة لها.

ثالثاً : الأسلوب الصوفي والإشاري في طرح مسائل العقيدة

بعض المتصوفة ويوافقهم الباطنية يجعلون لنصوص الوحي معاني ظاهرة هي حظ العوام، وأخرى باطنة لا يطلع عليها إلا الخواص، أو خواص الخواص، والمعاني الباطنة عادة -عند هؤلاء- تخالف المعاني الظاهرة، ولهذا يحتاجون إلى التصرف في ظواهر النصوص بنوع من التأويل.

كما أنهم يزعمون استفادة مذاهبهم من الله مباشرة لا عن طريق الوحي الشرعي، وإنما بوسائل أخرى تدور على محورين أساسيين هما: الكشف والرؤى، وهو ما يعبرون عنه أحياناً بالعلم اللدني.

وربما يبررون مخالفة الباطن للظاهر بقصة الخضر وموسى الواردة في سورة الكهف.

ومما ينبغي الإشارة إليه أن المعرفة الصوفية لا يمكن تعلمها ولا شرحها ولا الاستدلال عليها، وإنما يمكن معرفة طرقها ووسائلها ومناهجها وتعاليمها، وأحكامها ، فيأخذ بها السالكُ نفسَه ليصل إلى المقصود، فهي حالة يعيشها

السالك فحسب، حالة تُعْلم بالمنازلات والمواجيد فلا يعرفها إلا من نازل تلك الأحوال وحل تلك المقامات[1]. يقول عبدالرحمن الجامي: «إن مستند الصوفية فيما ذهبوا إليه هو الكشف والعيان، لا النظر والبرهان ..» وذكر أن السالك يفرغ قلبه عن جميع التعلقات الكونية، والقوانين العلمية.[2] وذكر أبوحامد الغزالي -رحمه الله- أن علوم الصوفية إنما فاضت عليهم فيضاً، ولم تحصل لهم بالتعلُّم والدراسة والكتابة للكتب، والنظر في المصنفات، والبحث عن الأقاويل والأدلة المذكورة، بل من لوازم طريقهم قطع الهمة عن الأهل والولد والعلم، فلا يفرق فكره بقراءة قرآن ولا بالتأمل في تفسيره، ولا بالنظر في كتب الحديث وغيرها.[3]

ولا ريب أن المؤمن إذا صحت معرفته بالله ورسوله ودينه، وصدقت متابعته للشرع ظاهراً وباطناً، يفتح الله عليه بما لا يفتح على غيره؛ من إلهامات صحيحة وفراسات صائبة وأحوال صادقة، قال تعالى: ﴿ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشد تثبيتاً وإذا لآتيناهم من لدنا أجراً عظيماً ولهديناهم صراطاً مستقيماً﴾[4] وكان عمر -رضي الله عنه- يقول: «اقتربوا من أفواه المطيعين واسمعوا منهم ما يقولون فإنه تتجلى لهم أمور صادقة»[5]

وأن أفضل كرامة ينالها السالك هي متابعة النبي -صلى الله عليه وسلم- ظاهراً وباطناً، وأحسن الكشف وأجله أن يكشف للسالك عن طريق الشريعة ليستقيم عليها، وعن عيوب نفسه ليصلحها ، وعن ذنوبه ليتوب منها، فما

---

(١) انظر: المعرفة عند مفكري المسلمين لمحمد غلاب ، ص٨٩ ، ٩٥ ومقدمة مناهج الأدلة (ابن رشد) لمحمود قاسم، ص٢٤، والتعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي، ص٨٧.

(٢) الدرة الفاخرة في تحقيق مذهب الصوفية والمتكلمين والحكماء، ص٢٥٣(بذيل أساس التقديسي للرازي).

(٣) انظر: إحياء علوم الدين (٣/١٨ ، ١٩).

(٤) سورة النساء : ٦٦ – ٦٨

(٥) مجموع فتاوى ابن تيمية ١/ ٤٧٣، ٤٧٤

أكـرم الله الصـادقين بكرامـة هي أعظم من هذا الكشف، وفي الحـديث:(ومـا تقرب إليّ عـبدي بشيء أحب إليّ مما افترضتُ عليـه، وما يزال عبدي يـتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فـإذا أحببته كنت سمعـه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويـده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها، وإن سألنـي أعطيته، ولئن استعـاذني لأعيذنه..)[1] وقال تعالى في وصـف الأولياء:﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عـليهم ولا هم يحزنـون الذين آمنوا وكانوا يتـقون﴾[2] فلم يذكر لهم شيئاً غير وصف الإيمان والتقوى فدل على أنه أحسن الأوصاف وأجلها.

لكن مـرتبـة الوحي أعـظم وأشـرف من مـرتبـة الذوق والوجـد والإلهـام ونحوها، فكل إنسان يذوق ويجد ما يحبه ويتـشهاه، وربما كان الشيطان يتمثل في صورة المحـبوب، فيخـاطب الإنسان بأشيـاء يزعم أنها من جهة المحـبوب، وقد يخاطبـه الشيطان بأشياء حسنة رشوة له ، لا يخـاطبه بما يعرف أنه باطل، لئلا ينفر منه ، بل بما يرى أنه حق[3].

والإلهام دليـل خاص، فكثيـر من أهل الإيمان والصدق يلقي الله فـي قلبه أن هذا الطعام حرام، وأن هذا الرجل كافر أو فاسق، من غير دليل ظاهر، بل بما يلقي الله في قلبـه، فهـذا وأمثـاله لا يجوز أن يسـتبـعد في حق أوليـاء الله المتقـين.[4] لكن هذا يعد أمـراً خاصاً لا يتعـدى المكاشَف أو الملهَم، بل يحكم به في خاصة نفسه، ولا يُلزم به غيره لعدم قدرته على إقامة الدليل على صحة كشفه أو إلهـامه. قال الشيخ العطار: «الإلهام حجـة في حق الملهم دون غيره، بذلك صرح الشيخ شـهاب الدين السهروردي ، ومال إليه التـفتازاني في بعض مصنفاته»[5].

---

(١) صحيح البخاري ٣٤٨/١١-٣٤٩ كتاب الرقاق، ح ٦٥٠٢

(٢) سورة يونس : ٦٢ ، ٦٣

(٣) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ٦١١/١ -٦١٢

(٤) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية(٤٧/٢٠)

(٥) حاشية العطار(٣٩٨/٢)

فهل يصلح الإلهام ونحوه من الكشف والرؤى دليلاً وعلامة على الحق عند سائر الناس؟!

أما المعنى اللدني والذي يتعلق به غالية الصوفية، ويدعون أنه علم الحقيقة، وأنه يخالف العلم الظاهر، ويستدلون على ذلك بقصة موسى والخضر، فلا ريب أن الله تعالى يفتح على قلوب أوليائه المتقين وعبادة الصالحين، بسبب طهارة قلوبهم مما يكرهه، واشتغالهم بما يحبه، ما لا يفتح به علي غيرهم، وقد قال تعالى: ﴿ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم واشتد تثبيتاً وإذا لآتيناهم من لدنا أجراً عظيماً ولهديناهم صراطاً مستقيماً﴾[1] وقال: ﴿يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام﴾[2] وقال تعالى: ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾ (البقرة: ٢٨٢)[3].

وليس في هذا الفتح الإلهي والتوفيق الرباني ما يخالف حقائق الشرع أو ظواهره، بل كل ما يخالف الشرع يُحكم ببطلانه.

أما قصة موسى والخضر فعند النظر والتحقيق يتبين أنه ليس فيها خروج على الشريعة، وعلى فرض وقوعه فهي تأخذ حكم شرع مَنْ قبلنا ، بل الخضر نفسه لم يكن على شريعة موسى عليه السلام فهو على علم علمه الله تعالى، وموسى على علم آخر علمه الله تعالى كما صرحت بذلك الروايات.[4]

وقد يَحْسُن من المتكلم أحياناً ترك البيان والإفصحاح عن مراده بعبارة واضحة، بل يدخل في التعمية على المخاطب إذا كان في ذلك مصلحة راجحة، فيتكلم بالمجمل ليجعل لنفسه سبيلاً إلى تفسيره بما يتخلص به، أو ليوهم السامع أنه أراد ما يخاف إفهامه إياه[5]. قال أبو عبيد: «المعاريض أن يريد

---

(١) النساء : ٦٦ - ٦٨

(٢) المائدة : ١٦

(٣) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ١٣/ ٢٤٥

(٤) انظر: صحيح البخاري ٨/ ٤٠٩ ح٤٧٢٥

(٥) انظر: الصواعق المرسلة ٢/ ٥٠٦

الرجل أن يتكلم بالكلام الذي إن صرح به كان كذباً، فيعارضه بكلام آخر يوافق ذلك الكلام في اللفظ ويخالفه في المعنى، فيتوهم السامع أنه أراد ذلك»[1] ومن ذلك قول الشاعر:

لكن قومي وإن كانوا ذوي عدد   ليسوا من الشر في شيء وإن هانا

لكن أن يقال : إن نصوص الكتاب والسنة ولا سيما ما يتعلق منها بأصول الدين والإيمان، من مسائل الأسماء والصفات، الملائكة، والجنة والنار، والأسماء والأحكام، كلها من هذا الباب، فهي كنايات ورموز وإشارات، وإن الشارع لم يفصح عن مراده ولم يبين مقصوده، بل ما قصده وأراده فهو وراء هذه الظواهر، وهو خفي لا يعلمه إلا الأفذاذ من الناس، والآحاد من العلماء، فهذا يتنافى مع حكمة الشارع وقصده في هداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وكون القرآن هدى ونوراً وشفاء لما في الصدور، وحياة للقلوب والأرواح.

ومع ذلك فلا ينبغي إهمال دور أهل التحقيق من شيوخ التصوف في معالجة أمراض النفوس، وتطهيرها من أدران الشرك والإلحاد وملاحظة السوى، وتنقيتها من حظوظها المخالفة للشريعة، من الكبر والبطر والعجب والحسد والغل وسوء الظن بالرب تعالى، ونحو ذلك ، إضافة إلى شحذ الهمم للاستكثار من العبادات ، والسير بالنفوس في مدارك المقامات، والرقي بها في سلم الكمالات ، بأسلوب لطيف، وعبارة رقيقة، وطريقة شرعية حسنة.

رابعاً : الطرح السلفي

أما الطرح السلفي فنحن مع سلفنا الصالح رضوان الله عليهم في كل صغير وكبير، في مذهبهم في الاعتقاد، وفي موقفهم من البدع التي واجهوها، ونحن مع المدرسة السلفية، والتي يعتلي صرحها شيخ الإسلام ابن تيمية -

---

(١) ذكره عنه البيهقي في السنن الكبرى ١٠/١٩٩ كتاب الشهادات-باب المعاريض فيها مندوحة عن الكذب.

رحمه الله- ومن قبله ومن بعده من علماء الأمة وجهابذتها، نحن معهم في مقابل أهل الفلسفة والكلام والتصوف المنحرف والزندقة، ونحن معهم في مواقفهم من قضايا: القدر، ومرتكب الكبيرة، والإمامة ، والصحابة، والصفات الإلهية، وخلق القرآن، ورؤية الباري تعالى، والحلول والاتحاد، ووحدة الوجود ونحو ذلك من القضايا التي جادلوا فيها المخالفين لهم.

لكنني أريد أن أسجل هنا بعض الملاحظات على السلفية المعاصرة، وهي نصائح أرجو أن توافق آذاناً صاغية وقلوباً واعية:

١ - أنهم لم يراعوا لغة العصر الذي نعيشه، فخاطبوا قومهم باللغة القديمة، أي القضايا القديمة التي لا وجود لها أو لأكثرها الآن، أو أنها لا تشكل اهتماماً لدى عامة الناس، بل هناك قضايا أولى منها قد استجدت على الساحة، أو هي موجودة في بقعة دون أخرى ، وبلغة مختلفة.

٢ - اعتمادهم الكتب القديمة أو الحديثة المؤلفة على الطريقة القديمة وقدموها لتكون كتب عقيدة ، مع أنها بكتب الفرق والخلاف أشبهُ منها بكتب العقيدة.

٣ - التعرض لقضايا دقيقة وخفية، تعزب عنها عقول كثير من طلبة العلم فضلاً عن العوام، أو تقع خارج دائرة اهتماماتهم، من ذلك هل الاسم هو عين المسمى أم غيره، وهل من فرق بين الوجود والماهية؟ ونزول الرب تعالى إلى السماء الدنيا، هل يلزم من ذلك خلو العرش منه أم لا؟ ونحو ذلك من التكلُّف.

٤ - إثارة قضايا ليست هي محل خلاف بين عامة المسلمين اليوم، مثل قضية خلق القرآن، ورؤية الباري تعالى، ولو ترك المسلمون فيها على فطرتهم ، أو معرفتهم المتواضعة لكان أجدى وأنفع، وأوفر للوقت والجهد، أو أن تعرض في صورة تقريرية من غير إشارة للخلاف.

٥ - التوسع في إطلاق عبارات وأحكام التكفير والتفسيق والتبديعه مما كوّن حاجزاً نفسياً بينهم وبين مجتمعاتهم التي تحتاج إلى تعليم وتوعية وتربية أكثر من حاجتها إلى مثل هذه الأحكام ، وما أسهل النطقَ بها، وتوزيعها على الناس.

العودة إلى منهج القرآن :

فهل من عودة لأسلوب القرآن الكريم وطريقته في معالجة أمر العقيدة والإيمان، فهو كلام الله الخالق العليم بخفايا الأمور، فمن أحسن من الله قيلا، ومن أحسن منه حديثاً؟ وإليكم جملة من خصائص الاستدلال القرآني لنقف على قوته وجماله ، وفائدة وثمرته، فمن ذلك:

أولاً : القرآن كل مافيه معجز: فإيجازه معجز ، وإطنابه معجز، وألفاظه معجزة، وأساليبه معجزة، ونظمه معجز، كل هذا معجز، وكذا استدلاله وجدله وبيانه، لا يصل إلى درجته نوع من الكلام .. والفرق بين القرآن وكلام أعلى أئمة البيان يجعل الموازنة غير مستقيمة، فالفرق بينه وبين القرآن هو كالفرق بين الخالق والمخلوق؛ لأنه فرق بين كلام الخالق وكلام المخلوق[1].

فالاستدلال القرآني معجز إعجاز القرآن، بمعنى أنه يستمد إعجازه من إعجاز القرآن، والقرآن معجز في كل مواد الاستدلال من : بلاغة، وفصاحة، وأدلة ، وبراهين، وغير ذلك. ومحال أن يعارض أحد القرآن في استدلاله، فيأتي بما يناقض القرآن، أو يعارضه، أو يماثله في صدق المعنى وصحة العبارة، وجودة الأسلوب، وبلوغ الهدف والغاية.

القرآن أثار في العرب دافع التحدي، وباعث المواجهة، وهو سجية

---

(١) انظر: المعجزة الكبرى -أبو زهرة ص٣٤٣

فيهم ، ثم إنه نـزل بلغتهم وتحداهم في أعلى مـا يفاخرون به، وهذا غـاية التحـدي، وحَـفَّزهـم على ذلك في أكثـر من مـوضع، وتدرج معـهم في التحدي -على سـبيل التنزل- فتـحداهم أن يأتوا بمثله، ثم بعشر سور منه ، ثم بسورة منه ولو من صغاره، فما استطاعوا، ولو كان بعضهم لبعضهم ظهيراً.[1]

فالقـرآن واجه المشـركين ، وتصدى لهم ، وناظرهم فـيمـا يعتـقدونه وقطعهم بالحجة البالغة والسلطان القاهر ، فما استطاعوا له رداً، ولا عنه حولا. قال الزركـشي في قصة الوليد بن المغيـرة وإيفاد قريش له إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- بغيـة أن يقطعه ويكفَّه عنهم، قال -رحـمه الله- : إن الوليـد بن المغـيرة(لعنه الـله) كان سـيد قـريش، وأحد فصحائهم ، لما سمعه -أي القرآن-أخرس لسانه، وبَلّد جنانُه، وأطفئ بيانه، وقطعـت حجته، وقـصم ظهره، وظَهَرَ عَـجزه، وذَهُلَ عقلـه [2] ، حتى قـال قوله المشـهور وهو: إن له لحـلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أسـفله لمغـدق، وإن أعـلاه لمثـمـر، وإنه ليـعلو ولا يُعلى[3].

فللقرآن الكريم قوة تأثير عظيمة على النفوس حتى جعلت أهل الكفر والإلحـاد يصفـونه بالسـحر ومـا هو بسـحر، وجـعلتـهم يتناهون عن الاستـماع إليـه؛ قال تعـالى: ﴿وقال الذين كـفروا لا تسـمعـوا لهذا القرآن والغـوا فيه لعلـكم تغلبون﴾[4] ونطق بعض هؤلاء بالحق كُرْهَاً مثلما كان من أمر الوليد وغيره.

وقال تعالي في شـأن بعض النصارى: ﴿ولتجدَنَّ أقـربهم مّودة للذين

---

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن -الزركشي ٢/١٠٨-١١٠
(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن- الزركشي ٢/ ١١٠.
(٣) انظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي ٢/ ١١٠-١١١
(٤) فصلت : ٢٦

آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبـرون وإذا سمعـوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعـينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحقّ يقولون ربَّنا آمنا فاكتبنا مع الشّاهدين﴾[1]

وقـال تعالى في شـأن بعض الجن: ﴿وإذ صـرفنا إليك نفـراً من الجنّ يستـمعون القـرآن فلمّا حـضروه قـالوا أنصتـوا فلمّا قـضى ولّوا إلى قـومهم مّنذرين قـالوا ياقـومنا إنا سـمعنا كـتابـاً أنزل من بعد مـوسى مصدقاً لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم﴾[2]

إن بقاء حجة القرآن ودوامَـها في صدقها وقوتها وحجيتـهاوشمولها، فحـجته باقـية ما بقـيت السموات والأرض، وعـامة لكل الناس على تبايـن أزمانهم ، ومواقـعهم، ومـراتبهم في الفـهم والإدراك ، وهذا البقاء والشمول مستمدان من بقاء الرسالة وشمولها:

قال تعالى: ﴿قل ياأيها الناس إني رسـول الله إليكم جميعاً﴾[3] وقال تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا كافـة للناس بشيراً ونذيراً﴾[4] ، وقال صلى الله عليـه وسلم :(ما من الأنبيـاء نبي إلا أعطى من الآيات مـا مثله آمن عليه البـشر، وإنما كان الذي أوتيتـه وحياً أوحاه الله إليّ فـأرجو أن أكون أكثرهـم تابعاً يوم القيامة)[5]

فلا يتصور أن أحداً -في أي وقت أو أي موقع- يجرؤ على معارضة حجة القرآن بما يقطعها أو يشكك في مـصداقيتها، على ما يكون من حجـج بعض الناس التي قد تكون قـاطعة لبـعضـهم، وفي وقت من

---

(١) المائدة : ٨٢ - ٨٣

(٢) الأحقاف : ٢٩ ، ٣٠

(٣) الأعراف : ١٨٥

(٤) سبأ : ٢٨

(٥) صحيح البخاري ٩/ ٣ (فتح الباري) كـتاب فضائل القرآن-باب كيف نزل الوحي وأول ما نزل، ح٤٩٨١

الأوقات، ثم لا تلبث أن يعرف بعض الناس بطلانها أو ضعفها. أما حجة القرآن الكريم فتبقى قاطعة لكل حجة، لا يُغيِّر من ذلك زمان ولا مكان ولا إنسان.

ثانياً: [1] ومن خصائص الاستدلال القرآني أنه يخاطب العقل والوجدان جميعاً، فيأتي بالفائدة العقلية والمتعة الوجدانية معاً وعلى مستوى واحد، مما لا يوجد مثله عند أي إنسان عالماً كان أو حكيماً أو شاعراً أديباً، يستطيع أن يمسك بالأمر من طرفيه، فيأتي بكلام واحد فيه قوة الحجة العقلية، وجمال العبارة، ولو وجدا عنده فلا يعملان إلا مناوبة ، كلما قويت واحدة اضمحلت الأخرى، وكاد أن يمنحي أثرها، وكلنا يحس من نفسه تناقضَ قوة الوجدان عند استيلاء قوة التفكير، والعكس بالعكس.

فمن نظر في كلام الناس من الفلاسفة والحكماء، وكلام الشعراء والأدباء لم يجد إلا غلوا في جانب وقصوراً في الجانب الآخر . فالحكماء -مثلاً- يقدمون لك ثمار عقولهم، وعصارة أفكارهم غذاء لعقلك من غير أن تتطلع نفوسهم إلى إشباع عاطفتك وإرواء وجدانك.

وأما الشعراء فيقصدون إلى استثارة وجدانك ، وتهييج عاطفتك، ولا يبالون بما صوروه لك أن يكون غياً أو رشداً، أو حقيقة أو خيالاً، وتراهم جادين وهم هازلون، يستبكون وإن كانوا لا يبكون، ويَطرَبون وإن كانوا لا يُطربُون وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كلِّ وادٍ يهيمون وأنهم يقولن ما لا يفعلون إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾[2]

---

(1) انظر: النبأ العظيم-دراز ، ص١٠٧-١١٠، ومناهل العرفان ٢/٢٠٩-٢١١ وخصائص القرآن الكريم - فهد الرومي ، ص٣٥-٣٨ ومناهج الجدل في القرآن الكريم-الألمعي ، ص٤٢٢.

(٢) الشعراء : ٢٢٤ - ٢٢٧

ولهذا لا تكاد تجد بشراً وفَّى بحق العقل إلا وبخس حق الوجدان، أو وفَّى بحق الوجدان إلا وبخس حق العاطفة. أما القرآن الكريم فقد جمع الله تعالى فيه بين القوتين: قوة الحجة العقلية البرهانية حتى إنه ليُقنع، أو ليقطع أرباب المعارف العقلية والفلسفية، وقوة المتعة الوجدانية والعاطفية حتى إنه ليُرضي ويشبع فحول الأدباء والشعراء، فهو كلام الله عز شأنه، لا يشغله شأن عن شأن، فهو القادر على مخاطبة العقل والقلب معاً وبلسان واحد، وأن يمزج بين الحق والجمال.

انظر -مثلاً- إلى قوله تعالى: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا..﴾[1] وتأمل وتدبر كيف اجتمع في كلمات سبع عمق المقدمات اليقينية، ووضوحها، ودقة تصوير ما يعقب التنازع من الفساد الرهيب؛ مما لو ابتغى تقرير مثله فلاسفة العصور كلها لما استطاعوا إلا بعبارة طويلة وعرة جافة، كما هو واضح في دليل التمانع الذي صوره المتكلمون ، وجعلوا هذه الآية دليلاً عليه.

ثالثاً: ومن خصائص الاستدلال القرآني أن أدلته لها من القطعية في الثبوت مثلما للقرآن الكريم من ذلك، إذ نصوصه وردت بطريق التواتر الذي يفيد العلم اليقيني الاضطراري ، فلا شك ولا ظن في ثبوت أدلته كما لا شك ولا ظن في ثبوت نصوصه، هذا من جهة الورود، وكذلك من جهة المعاني والدلالات فالاستدلال قطعي؛ لأن المراد به تقرير القواعد الاعتقادية، وإقامة الأدلة والبراهين على قضايا الاعتقاد، والرد على الخصم، وهذا من أعظم ما جاء القرآن لتقريره، فلا بد أن يكون في وضوح معانيه، وقوة دلالته، ودقة مقاصده ما يجعله هداية للضالين، وقطعاً للمعاندين، وحجة على الخلق أجمعين. فلا تناقض بين أدلته وبراهينه كما قال تعالى: ﴿ولو كان

---

(١) الأنبياء : ٢٢

من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾[1].

ولا ضعف في قوة حجة القرآن ووضح محجته كما قال تعالى: ﴿وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾[2] . فلا أحد في قديم الزمن ولا في حديثه يُعرف أنه أقام دليلاً صحيحاً وحجة قاطعة يعارض بها أدلة القرآن الكريم وحججه، بل لم يذكروا إلا ما يدل على عجزهم وانقطاعهم ، وذلك حين وصفوا القرآن بالسحر والشعر وهم أول من يعرف براءته من ذلك؛ كما كان من أمر الوليد بن المغيرة وغيره.

بل هؤلاء الذين أخبر القرآن أنهم صالوا النار - كأبي لهب والوليد- لم يجرؤ أحدهم على تكذيب القرآن بإبطال حجته، وإظهار تناقضه -مع حرصهم على معارضته- فيعلن إسلامه، ولو على سبيل المعارضة، فلله الحجة البالغة أبداً.

ولهذا وغيره قال أبوعبدالله الرازي -مع خبرته في الكلام- في آخر عمره: «لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلاً، ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن؛ أقرأ في الإثبات: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾[3] ﴿إليه يصعد الكلم الطيّب﴾[4] واقرأ في النفي ﴿ليس كمثله شيء..﴾[5] ﴿ولا يحيطون به علماً﴾[6] «ومن جرَّب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي»[7].

---

(١) النساء : ٨٢

(٢) فصلت : ٤١ - ٤٢

(٣) طه : ٥

(٤) فاطر : ١٠

(٥) الشورى : ١١

(٦) طه : ١١٠

(٧) درء تعارض العقل والنقل(١/ ١٦٠) والرد على المنطقيين ، ص٣٢١.

رابعاً : ومن خصائص الاستدلال القرآني أنه إذا أراد إلزام الخصوم وإفحامهم فعل ذلك بأقرب الطرق وأقواها إلزاماً وإفحاماً، فلا يجد الخصم لنفسه ملاذاً، ولا فكاكاً غير التسليم والإذعان، من ذلك ما حكاه الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام في مجادلة مدعي الربوبية، قال تعالى: ﴿ألم تر إلى الذي حَاجَّ إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين﴾(البقرة:٢٥٨) ومنه أيضاً: ﴿أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون﴾(الطور: ٣٥).

خامساً : ومن خصائص الاستدلال القرآني، أنه يرشد مخاصميه إلى العقل الصريح، والعقل هو أغلى ما يفاخر به المخاصم، والقرآن لا يخاف نتائج العقل ؛ لأنها دائماً-إذا كانت صحيحة صريحة- لا تتعارض مع الحقائق الإيمانية، بل القرآن يأمر بإعمال الفكر والنظر، واستخدام العقل إلى الغاية الممكنة. قال تعالى: ﴿ قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جِنَّة إن هو إلا نذيرٌ لكم بين يدي عذاب شديد﴾(سبأ:٤٦) وقال تعالى: ﴿قل انظروا ماذا في السموات والأرض..﴾(يونس :١٠١).

وهناك قوانين عقلية لا يمكن الاختلاف والتنازع فيها كوجوب الجمع بين المتماثلات والتفريق بين المختلفات ، وإلحاق الشيء بنظيره ، وإعطاء الفرع حكم أصله، ونحو ذلك. ولهذا ذم الله تعالى الذين يجادلون في الله بغير حجة: لا من كتاب ناطق، ولا من عقل صادق. فقال تعالى: ﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب مُّنير﴾(الحج:٨).

ونجد آيات كثيرة فيها المطالبة بالتزام ما يقتضيه العقل، والإذعان إلى حكمه -وهو موافق لا محالة لحكم الشرع- فمن ذلك قوله تعالى

مخاطباً أهل الكتاب: ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾(البقرة: ٤٤) ويقول لهم في شأن انتسابهم إلى إبراهيم عليه السلام: ﴿ياأهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلما وما كان من المشركين إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله وليُّ المؤمنين﴾(آل عمران: ٦٥-٦٨).

وسفَّه الخليل عليه السلام مَنْ عَبَدَ من دون الله ما لا ينفعه ولا يضره، وطالبه أن يُحكِّم عقله، قال تعالى: ﴿قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم أفٍّ لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون﴾(الأنبياء :٦٦، ٦٧).

واشتمال الاستدلال القرآني على القوانين العقلية الصريحة يجعله حجة على كل الناس، لا سيما الذين غلبت عليهم النزعات العقلية والفلسفية، أو الذين لهم مذاهب دينية سابقة يتعصبون لها ، ولا ينقلبون عنها إلا ببراهين جديدة تولد عندهم علوماً جديدة، وهذا ما يضمنه الاستدلال القرآني لهؤلاء الأصناف من البشر، إذا تخلوا عن التعصب والعناد.

ثامناً: تميُّز الاستدلال القرآني عن الاستدلال اليوناني والكلامي ، وذلك من وجوه كثيرة، أهمها:

١- القرآن نزل لهداية الناس كافة، وما فيه من الاستدلال والجدل إنما هو لمخاطبة الناس جميعاً، وعلى مختلف مستوياتهم العقلية والعاطفية، بعكس طريقة المناطقة والمتكلمين في الجدل والاستدلال فلا يفهمها إلا طائفة خاصة من الناس؛ وذلك لما

فيها من الغموض، والإلغاز في الاستدلال ، والتطويل في العبارات.[1]

٢ - القرآن الكريم لم يلتزم طريقة المناطقة والمتكلمين الاصطلاحية في المقدمات والنتائج من الاستدلال بالكلي على الجزئي في قياس الشمول[2]، أو الاستدلال بأحد الجزئين على الآخر في قياس التمثيل[3]، أو الاستدلال بالجزئي على الكلي في قياس الاستقراء[4]، وذلك:[5]

أ - لأن القرآن جاء بلسان العرب، وطريقتهم في التخاطب، فطريقته تجمع بين عمق المعنى ودقة التصوير، ووضوح التعبير، وسلامة التركيب دون إخلال بالصورة البيانية التي تثير الضمير وتوقظ المدارك النفسية ، وتدفع بالعقول إلى النظر دون ارتباط بالاصطلاحات المنطقية الفلسفية المعقدة[6].

ب - ولأن الاعتماد في الاستدلال على ما فُطِرَت عليه النفس من الإيمان بما تشاهده وتحس به دون عمل فكري معقد أقوى أثراً وأبلغ حجة.

---

(١) انظر: من أسرار البلاغة -محمود شيخون، ص٢٢٣.

(٢) قياس الشمول : اشتراك الأفراد في حكم عام وشموله لها. انظر: الرد على المنطقيين ، ص٣٦٤.

(٣) قياس التمثيل: إثبات حكم في أمر لثبوته في آخر لعلة مشتركة بينهما، ويسمى المحكوم عليه فرعاً، والشيء المنقول منه الحكم أصلاً، أو مثالاً، والعلة المشتركة بينهما جامعة. وهو قياس الأصوليين ، ويسمى الشرعي. انظر: كشاف اصطلاحات الفنون (٥/ ١١٩٣-١١٩٤) ، والمعجم الفلسفي (مجمع اللغة العربية)ص٥٥.

(٤) الاستقراء : هو الحكم على الكلي لثبوت ذلك الحكم في جزئياته أو أفراده، إما كلها وهو الاستقراء التام، وإما أكثرها وهو الاستقراء المشهور، معتمداً على مبدأ الحتمية، كقولنا: لكل طائر جناحان. انظر: المعجم الفلسفي (مجمع اللغة العربية) ص ١٢، والمعجم الفلسفي-صليبيا (١/ ٧١-٧٢).

(٥) انظر: مباحث في علوم القرآن -القطان، ص٢٢٩-٣٠٠.

(٦) انظر: منهاج الجدل-الألمعي ، ص ٤١٦-٤١٧.

ج - ولأن ترك الجلي من الكلام والالتجاء إلي الدقيق الخفي نوع من الغموض والإلغاز لا يفهمه إلا الخاصة، وينافي قصد الشارع من هداية الناس وبيان الحق لهم.

يقول الزركشي -رحمه الله-: «اعلم أن القرآن العظيم قد اشتمل على جميع أنواع البراهيم والأدلة، وما من برهان ودلالة وتقسيم وتحديد شيء من كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله تعالى قد نطق به، لكن أورده تعالى على عادة العرب دون دقائق طرق أحكام المتكلمين لأمرين:

أحدهما: بسبب ما قال: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبّين لهم﴾(إبراهيم: ٤).

والثاني: أن المائل إلى دقيق المحاجَّة هو العاجز عن إقامة الحجة بالجليل من الكلام، فإن من استطاع أن يُفهم بالأوضح الذي يفهمه الأكثرون لم يتخطَّ إلى الأغمض الذي لا يعرفه إلا الأقلون، ولم يكن مُلغِزاً، فاخرج تعالي مخاطباته في محاجة خلقه في أجلِّ صورة تشتمل على أدق دقيق، لتفهم العامة من جليلها ما يُقنعهم ويُلزمهم الحجة، وتفهم الخواص من أثنائها ما يوفي على ما أدركه فهم الخطباء..»(١)

٣ - الاستدلال القرآني يدل على الحقائق في ذاتها، فبراهين القرآن وحججه دالة على الأمور المعيَّنة كأسماء الله وصفاته، والملائكة، والرسل ، والكتب ، والعرش ، والكرسي، والجنة والنار، وما وقع للأنبياء مع أقوالهم من قصص وأحداث معيَّنة، وكذلك ما أخبر به الله تعالى ورسوله-صلى الله عليه

(١) البرهان، ص٢٤. وانظر: معترك الأقران -السيوطي (١/ ٤٥٦)

وسلم- من الأمور المستقبلية وغير ذلك، كلها أمور معينة ليست من نوع القضايا الكلية التي لا تكون إلا في الذهن، ولا تمنع من وقوع الشركة فيها، كما هو حال كلام المناطقة وجدلهم، فاقيستهم التي هي عندهم برهانية لا تفيد إلا أموراً كلية، لا تدل على شيء معين.[1]

٤ - «إن أسلوب القرآن أسمى من الخطابة وأسمى من منطق أرسطو ومن لفَّ لفه، تراه قد اعتمد في مسالكه على الأمر المحسوس أو الأمور البدهية التي لا يمتري فيها عاقل ، وليس فيه قيد من قيود الأشكال المنطقية، من غير أن يخل بدقة التصوير، وقوة الاستدلال ، وصدق كل ما اشتمل عليه من مقدمات ونتائج في أحكام العقل، وإنك لترى بعض أوصاف الأسلوب الخطابي قد أتى فيها بالمثل الكامل فيه وهو أعلى من أن يوصف بأنه جاء على منهاج من مناهج الخطابة.

ومهما يكن من قول في استدلالات القرآن الكريم فإن له مناهج في الاستدلال تعلو على براهين المناطقة، والأخيلة المثيرة للإقناع ، والأدلة الخطابية»[2]

٥ - والقرآن لا يحتجُّ في مجادلته بمقدمة لمجرد تسليم الخصم بها كما هي الطريقة الجدلية عند أهل المنطق وغيرهم، بل بالقضايا والمقدمات التي يسلمها الناس، وهي برهانية. وإن كان بعضهم يسلمها، وبعضهم ينازع فيها ذكر الدليل على صحتها كقوله تعالى: ﴿وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشرٍ من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً وعُلِّمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم﴾(الأنعام: ٩١)

---

(١) انظر: مناهج الجدل - الألمعي ، ص٤١٥-٤١٦.

(٢) المعجزة الكبرى -أبوزهرة، ص٣٧٢-٣٧٣.

فإن الخطاب لما كان مع من يُقرّ بنبوة موسى من أهل الكتاب ومع من ينكرها من المشركين، ذكر ذلك بقوله تعالى: ﴿قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى..﴾ (الأنعام: ٩١) وقد بين البراهين الدالة على صدق موسى في غير موضع.[(١)]

فطريقة القرآن الكريم في الاستدلال وتوجيه العقول والمشاعر لإدراك أعمق الحقائق أيسر وأشمل وأقوم... فعلى الناظرين في القرآن الكريم والداعين إلى نشر قضاياه ومبادئه أن يعملوا على إشاعة الأسلوب القرآني، وتقريبه بما يرفع الحجب الاصطلاحية عن وجهه الجميل، حتى لا تغرق معانيه في خضم الاصطلاحات المنطقية والفلسفية.[(٢)]

إننا بحاجة ماسة إلى تغيير لغة الخطاب العقدي في عصرنا، سواء لأجل مخاطبة المسلمين أو غيرهم ، ولنضع في تقديرنا عدة أمور من أهمها وأبرزها:

١ - اعتماد لغة القرآن وأسلوبه ومنهجيته في تأسيس الإيمان وفي مخاطبة العقل والوجدان على حد سواء، وتلبية حاجتهما من الإشباع، وقد مر بيان ذلك.

٢ - تناول بعض قضايا العقيدة بشكل آخر، ولعله يكون الأقرب لمنهج القرآن، ولتحقيق مقاصده، فمثلاً: مسألة الأسماء والصفات والتي كانت الشغل الشاغل لأهل الكلام ومَنْ جادلهم، حيث شغلت حيزاً كبيراً من المؤلفات والجهود والأوقات -وقد يكون لهذا مبرر في وقته- وأضفت عليها المباحث الجدلية حجاباً كثيفاً غيَّب فيها المعاني الجميلة التي كانت تشع بها في السياق القرآني وفي نفوس الرعيل الأول من الصحابة وخيار الأمة.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٩/ ١٦٥-١٦٦).

(٢) القرآن العظيم - عرجون ، ص٢٨٣- ٢٨٤ بتصرف.

فالمقصود من الأسماء والصفات وضع تصور صحيح عن الذات الإلهية، وتصحيح التصورات الفاسدة الموجودة عند المشركين وأصحاب الديانات المنحرفة، أو التي قد توحي بها السذاجة العفوية لدى بعض الناس أحياناً، وهذا التصور الصحيح ينبغي أن يحمل صاحبه على معرفة الله المعرفة الصحيحة، معرفة لها حياتها وحيويتها وحرارتها وحركتها ، حيث تولّد في نفس المؤمن عظمة الله، ومحبته، وخشيته، والإنابة إليه، والتوكل عليه ، فالله على كل شيء قدير، وبكل شيء عليم، ولا تخفى عليها خافية، وهو العدل ، الحكم، الغفور الرحيم، شديد الحساب، وشديد العذاب، لا يظلم أحداً، فإذا رسخت هذه المعرفة في نفس الإنسان حملته على عبادة الله ، لأنه أحق بذلك من غيره، وهكذا عُرضت الصفات الإلهية في القرآن الكريم، فمثلاً: حينما قال أحدهم للرسول -صلى الله عليه وسلم-: يا محمد ، أقريب ربنا فنناجيه، أم بعيد فنناديه؟فأنزل الله تعالى: ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون﴾(البقرة: ١٨٦)[١]

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ (النحل: ٥٠) وقوله تعالى: ﴿ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم﴾ (المجادلة: ٧).

فلا ينبغي فصل الأسماء والصفات عن السياق الذي وردت فيه، وعرضها في السياق الجدلي الكلامي الذي عولجت من خلاله شبهات

(١) تفسير الطبري (٣/ ٤٨٠) طبعة شاكر.

الطوائف المنحرفة في باب الصفات الإلهية، فإن هذا يعطلها عن دورها الفاعل في تربية النفوس، وتهذيب الطباع، وتحقيق مراقبة الله وتعظيمه، والحث على طاعته والتزام شرعه سراً وجهراً، ورغباً ورهباً.

٣ - العمل على إعادة عقيدة السمعيات إلى موقعها الطبيعي لتقوم بدورها في تربية الأمة، وزرع محبة الله ومحبة لقائه، والشوق لما أعده لأهل طاعته في جنات النعيم، وزرع الخوف منه تعالى ومن عقابه، فقد خلت كتب العقيدة من التعرض لهذه القضايا إلا في سياق مجادلة المنكرين للبعث والرد على شبهاتهم، أما غير ذلك فلا يكاد يوجد منه شيء يستحق الذكر، مع أن قضايا السمعيات من: البرزخ والبعث والنشور والحساب والميزان والصراط والجنة وأنواع نعيمها، والنار وأصناف عذابها أمر بارز في القرآن الكريم، متضمَّن في غالب سور القرآن، حتى إن الله تعالى يخوف به الكافرين فضلاً عن المؤمنين، قال تعالى: ﴿ذرني ومن خلقت وحيداً وجعلت له مالاً ممدوداً وبنين شهوداً ... سأرْهِقُه صَعُودا ... سأصْلِيه سقر ...﴾(المدثر). وروي أن كعب الأحبار أسلم بسبب قوله تعالى: ﴿ياأيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها ...﴾ (النساء:٤٧) حيث سمع قارئاً يتلوها، فوضع كعب كفيه على وجهه، ورجع القهقرى إلى بيته، فأسلم مكانه، وقال: والله لقد خفت الا أبلغ بيتي حتى يُطمس وجهي.[١]

٤ - تجنب عرض العقيدة من خلال الرد على الخصوم القدامى ودفع شبهاتهم، بل لابد من بعث الفطرة الصحيحة الموجودة في نفوس بني آدم، وإزالة الركام عنها، ومعالجتها وتزكيتها بالأدوية الإلهية، وتهيئتها

---

(١) انظر : تفسير ابن عطية (٤/ ٩٢) طبعة الدوحة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م

لمعرفة الحق وقبوله والإذعان له، ثم تعرض العقيدة عرضاً تقريرياً وتأسيسياً ابتداء، ثم من خلال الرد على الخصوم المعاصرين، والتحديات المعاصرة، وتجنب اجترار التحديات القديمة لا سيما التي لا وجود لها على الساحة، أو لا تقع في قائمة الأولويات.

٥ - التركيز على الآثار العملية للإيمان وأركانه الستة، وثمار ذلك في الحياة الدنيا، سواء كانت ثماراً مادية من توفير الأمن في الأوطان، والسعة في الأرزاق، والصحة في الأبدان، والقوة بمعانيها المتنوعة ونحو ذلك، أو ثماراً معنوية كالصحة النفسية، والطمأنينة القلبية، والسعادة الروحية ونحو ذلك مما تفتقده المجتمعات الإلحادية أو المادية. وقد قال تعالى: ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض﴾ (الأعراف: ٩٦) وقال: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾ (الأنعام: ٨٢) وقال: ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ (الرعد: ٢٨) وقال: ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾ (آل عمران: ١٣٩).

٦ - مراعاة العصر الذي نعيش فيه، واهتمامات أفراده ، والقضايا الساخنة المطروحة في الساحة، ولهذا قيل: لو كان ابن تيمية حياً لجعل في مقدمة اهتماماته مواجهة مثل الشيوعية والرأسمالية والقومية والعلمانية والحداثة والعولمة ونحو ذلك من قضايا العصر، وهو ما نسميه بمراعاة الأولويات، أو فقه الوقت، أو واجب الوقت، وقد قال تعالى: ﴿ياأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة﴾ (التوبة: ١٢٣).

٧ - أن نتحكم نحن في إدارة الصراع الفكري والعقدي ولا نُجر أو ننجر للدخول في قضايا لا تخدم أهدافنا الأساسية، ولا تتماشى مع خطتنا

المنهجية.

٨ - مراعاة لغة العصر الذي نعيشه، فعصرنا كما يقال عصر العلم، ومنه علوم الفضاء وسائر العلوم التطبيقية على مختلف ألوانها وأبعادها، وهو عصر غلبت عليه النزعة الإنسانية، وقيم المذاهب الوضعية كالنفعية والذرائعية ونحو ذلك، فينبغي أن نراعي ذلك في خطابنا العقدي، وإلا أصبحت الهوة واسعة بيننا وبين قومنا، وبيننا وبين الناس أجمعين.

٩ - مع الحرص والحذر في استخدام المصطلحات المعاصرة أثناء تحميلها المعاني الشرعية حتى لا نقع فيما وقع فيه أهل الكلام من قبلُ مجاراة للفلاسفة حين استعملوا ألفاظاً في شرح المعاني الشرعية تحتمل حقاً وباطلاً، وتؤدي إلى الإيهام والإجمال ونحو ذلك.

١٠- معالجة قضية الإيمان من خلال قضايا مجتمعاتنا على مختلف مستوياتها وأنواعها، وهكذا كانت دعوات الرسل، والحذر من التغافل عن القضايا الملحة، والتحليق بالناس فيما لا يعنيهم من مشاكل اجتماعية لا يعيشونها ولا يعانونها، أو تضييع الأزمان و وإتعاب الأذهان في معالجة افتراضيات لا وجود لها في الساحة.

١١- الاستفادة من علوم العصر لا سيما القطعية منها في ترسيخ قضايا الإيمان في النفوس والبرهنة على عدم التعارض بين كلمات الله الشرعية وكلماته الكونية، وفي هذا الصدد ندعوا إلى التوسع في بيان الإعجاز القرآني في مجالات العلم التجريبي والظواهر الكونية والنفسية، وفي مجالات العلوم الاجتماعية ونحو ذلك من اهتمامات العصر، فالمعجزة تكون عادة فيما برع فيه القوم، وأقوامنا برعوا فيما تقدم ذكره ، والقرآن لا تنقضي عجائبه.

١٢- الربط بين الفساد الكوني والفساد الأخلاقي، لأن الكون فطر على

الحق والعدل، وكذلك ينبغي علـى الإنسان أن يكون، حتى يعيش مع الكون في أمن وسـلام وتناغم، وإلا يقع الفـساد والخراب في الكون بقدر ما يـقع من البشرية من فسـاد في سلوكها؛ سواء الاعـتقادي أو العملي، وقد قال تعالى: ﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون﴾(الروم: ٤١) ويقول تعالى: ﴿فإما يأتينكم مني هـدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى. ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا﴾(طه: ١٢٣-١٢٤).

ولهذا يكون الفساد الكوني العام أو الهـائل، وهو ما يعبر عنه بأشراط الساعة االكبرى، حين يعم الفساد الأخلاقي الأرض ولا يبقى للصلاح فيها مجال، يقول النبي-صلى الله عليه وسلم-: (لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله)[1]

١٣- ربط قضـايا السلوك بالمعتقـد، على أنها أثر من آثار الإيمان الصـحيح، وقـد تكون من لوازمـه ﴿والبلد الطـيِّب يخـرج نبـاته بإذن ربه والذي خبث لا يخـرج إلا نكدا﴾(الأعراف: ٥٨) ﴿ألم تر كـيف ضرب الله مثـلاً كلمة طيـبة كشجرة طيـبة أصلها ثابت وفـرعها في السـماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها﴾ (إبراهيم: ٢٤، ٢٥).

فإغفال جانب التأسيس العقدي لكثير من الأمور العملية السلوكية كان سببـاً في هذا الواقع المرير الذي يعـيشه المسلمـون، المتمثل في إقـصاء شريعة الرب تـعالى عن كثير من مظـاهر الحياة السياسـية والاجتمـاعية والاقـتصـادية والأخلاقـية، حـتى صار لديـهم استـعداد نفـسي لتقـبل الفلسفة العلمانية.

١٤- إبراز قصـور وضعف بل وبطلان الخطاب الديني المعـاصر لدى اليـهود والنصـارى وغيـرهم من أصـحاب الديانات الأخـرى، والتـركيـز على

(١) صحيح مسلم(١/ ١٣١) كتاب الإيمان، ح: ٢٣٤.

فضح أساليب الصهيونية، وحركات التنصير والاستشراق، ونحو ذلك من المنظمات ذات البعد الديني.

١٥- التصدي للتيارات والمذاهب الوضعية المعاصرة وبيان عوارها، وكشف أساليبها، كل ذلك من خلال كتب العقائد.

١٦- بيان عجز المذاهب الإنسانية عن استيعاب الحياة البشرية وتلبية حاجاتها على اختلاف ألوانها وتحولاتها، والتأكيد على حاجة البشرية سابقاً ولاحقاً إلى الوحي الشرعي.

١٧- وأخيراً -أقترح أن يُضم إلى مقرر العقيدةفي الجامعات والمعاهد ما يتعلق بالتحديات المعاصرة، لكي تعالج من خلال كتب العقيدة ، وبلغة العصر الذي نعيشه، والتي تناسب أجيالنا، كما أقترح إخراج كثير من الموضوعات من مقرر العقيدة وضمها إلى مقرر الفرق، أو مقارنة الأديان والمذاهب أو نحو ذلك من العلوم الشرعية المتخصصة.

ويهذا نكون قد حققنا عدة أهداف، منها:

الأول: أن يجتمع في مادة العقيدة جانبان، الأول: التأسيس والبناء، والثاني: الدفاع والتحصين وبأسلوب معاصر.

الثاني: مواكبة علم العقيدة لقضايا العصر وتحدياته.

الثالث: معالجة هذه التحديات المعاصرة بأسلوب العصر ولغته.

هذا ، وأسأل الله التوفيق والسداد في القول والعمل، وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم تسليماً كثيراً.



ثبت بمراجع البحث

١ - آداب البحث والمناظرة لمحمد الأمين الشنقيطي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

٢ - الأربعين في أصول الدين للفخر الرازي، دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الأولى ١٣٥٣هـ الهند.

٣ - اجتماع الجيوش الإسلامية على عزو المعطلة والجهمية لابن قيم الجوزية دار المعرفة.

٤ - الاختلاف في اللفظ لابن قتيبة، مطبعة السعادة ١٣٤٩هـ ، مصر.

٥ - إحياء علوم الدين للغزالي، دار المعرفة، بيروت.

٦ - أساس التقديس في علم الكلام للفخر الرازي ، مطبعة كردستان العلمية ١٣٢٨هـ مصر.

٧ - أصول الدين للفخر الرازي، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر.

٨ - الاعتصام للشاطبي، مطبعة السعادة، مصر.

٩ - البرهان في علوم القرآن للزركشي، مطبعة عيسى الحلبي، الطبعة الثانية ١٣٩١هـ مصر.

١٠- تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة، دار الجيل ، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م بيروت.

١١- تاريخ الفكر الفلسفي لمحمد علي أبوريان، دار النهضة ، الطبعة الرابعة ١٩٧٦م بيروت.

١٢- تاريخ الفلسفة اليونانية ليوسف كرم، مطبعة لجنة التاليف والترجمة، الطبعة الثانية ١٣٦٥هـ القاهرة.

١٣- تجديد علم المنطق لعبدالمتعال الصعيدي، المطبعة النموذجية، الطبعة الخامسة، مصر.

١٤- تحرير القواعد المنطقية لمحمود الرازي، مطبعة البابي الحلبي، الطبعة الثانية، ١٣٧٦هـ مصر.

١٥- التحف في مذهب السلف للشوكاني، مطبعة المدني ، جدة.

١٦- التعرف لمذهب أهل التصوف لمحمد الكلاباذي، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٨٠هـ القاهرة.

١٧- التعريفات للجرجاني الدار التونسية ١٩٧١م تونس.

١٨- تفسير ابن عطية تحقيق عبدالله الأنصاري وآخرين ، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م الدوحة.

١٩- تلبيس إبليس لأبي الفرج بن الجوزي، إدارة الطباعة المنيرية، الطبعة الثانية، ١٣٦٨هـ مصر.

٢٠- التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع للملطي، مكتبة المثنى ١٣٨٨هـ بغداد.
٢١- تهافت الفلاسفة للغزالي، دار المعارف، الطبعة الرابعة ١٣٨٥هـ مصر.
٢٢- جامع البيان عن تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري، دار المعرفة، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ بيروت.
٢٣- جامع البيان العلم وفضله لابن عبدالبر، دار الفكر، بيروت.
٢٤- الحجة في بيان المحجة لأبي القاسم الأصبهاني دار الراية، الطبعة الأولى ١٤١١هـ الرياض.
٢٥- خصائص القرآن الكريم لزيد الرومي، مكتبة الحرمين، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ الرياض.
٢٦- درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم، ط. جامعة الإمام محمد بن سعود.
٢٧- الرد على المنطقيين لابن تيمية، دار المعرفة، بيروت.
٢٨- سنن أبي داود، دار الحديث، الطبعة الأولى ١٣٩٤هـ سوريا.
٢٩- سنن الترمذي ، مطابع الفجر الحديثة، الطبعة الأولى ١٣٨٧هـ حمص.
٣٠- السنن الكبرى للبيهقي، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الأولى ١٣٥٤هـ الهند.
٣١- شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي، دار طيبة، الرياض.
٣٢- شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، المكتب الإسلامي، الطبعة التاسعة، ١٤٠٨هـ بيروت.
٣٣- صحيح البخاري مع شرح فتح الباري، المطبعة السلفية، ١٣٨٠هـ ، القاهرة.
٣٤- صحيح الجامع الصغير وزيادته، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ بيروت.
٣٥- صحيح مسلم، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى ١٣٧٥هـ مصر.
٣٦- صون المنطق للسيوطي، مطبعة السعادة، الطبعة الأولى، مصر.
٣٧- طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، الطبعة الأولى، مطبعة عيسى البابي ١٣٨٤هـ مصر.
٣٨- فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة للغزالي، دار الكتب العربية، الطبعة الأولى ١٣٨١هـ مصر.
٣٩- القرآن العظيم محمد صادق عرجون، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٣٨٦هـ مصر.
٤٠- مباحث في علوم القرآن لمناع القطان، مكتبة المعارف، الطبعة الثامنة، ١٤٠١هـ الرياض.

٤١- مجموع فتاوى ابن تيمية، مكتبة المعارف، المغرب،
٤٢- محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين .. للرازي ، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.
٤٣- مختصر الصواعق المرسلة لابن قيم الجوزية، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.
٤٤- المطالب العالية في علم الكلام للرازي، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ بيروت.
٤٥- معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي، دار الفكر العربي، ١٩٦٩م بيروت.
٤٦- المعجزة الكبرى لمحمد أبوزهرة، دار الفكر العربي.
٤٧- المعجم الفلسفي صليبيا، دار الفكر اللبناني، الطبعة الأولى، بيروت.
٤٨- المعرفة عند مفكري المسلمين لمحمد غلاب، دار الجيل.
٤٩- مقدمة ابن خلدون، دار الشعب ، مصر.
٥٠- الملل والنحل للشهرستاني، دار المعرفة ١٤٠٠هـ بيروت،
٥١- من أسرار البلاغة محمود شيخون، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٤٠٤هـ مصر.
٥٢- مناهج الأدلة في عقائد الأدلة لابن رشد، مكتبة الأنجلو ١٩٦٤م مصر.
٥٣- مناهج الجدل في القرآن لزاهر عواض الألمعي، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض.
٥٤- مناهل العرفان لمحمد عبدالعظيم الزرقاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٥٥- منطق أرسطو تحقيق عبدالرحمن بدوي، دار الكتب المصرية ١٩٤٩م، القاهرة.
٥٦- المنقذ من الضلال للغزالي، مطبعة ابن زيدون، الطبعة الثانية، ١٣٥٣هـ دمشق.
٥٧- موطأ مالك بن أنس، دار الكتب العربية، ١٣٧٠هـ مصر.
٥٨- النبأ العظيم لمحمد دراز ، مطبعة السعادة، ١٣٨٩هـ مصر.
٥٩- نهاية الإقدام في علم الكلام للشهرستاني، خدمة الفرد جيوم.

***